بين أروقة الجامعة

خلود عبدالله النازل

دار الجنان للنشر والتوزيع

بين أروقة الجامعة



الطبعة الأولى

٢٠١٧ م

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠١٧ / ١ / ١١١)

رقم التصنيف: ٨١٤,٩
المؤلف وهو من في حكمه: النازل،خلود عبدالله
عنوان الكتاب: بين اروقة الجامعة / خلود عبدالله النازل
عمان: دار الجنان، ٢٠١٧
(١٢٠) ص
الواصفات: المقالة الأدبية // العصر الحديث
يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن راي دائرة المكتبة الوطنية او أي جهة حكومية اخرى.

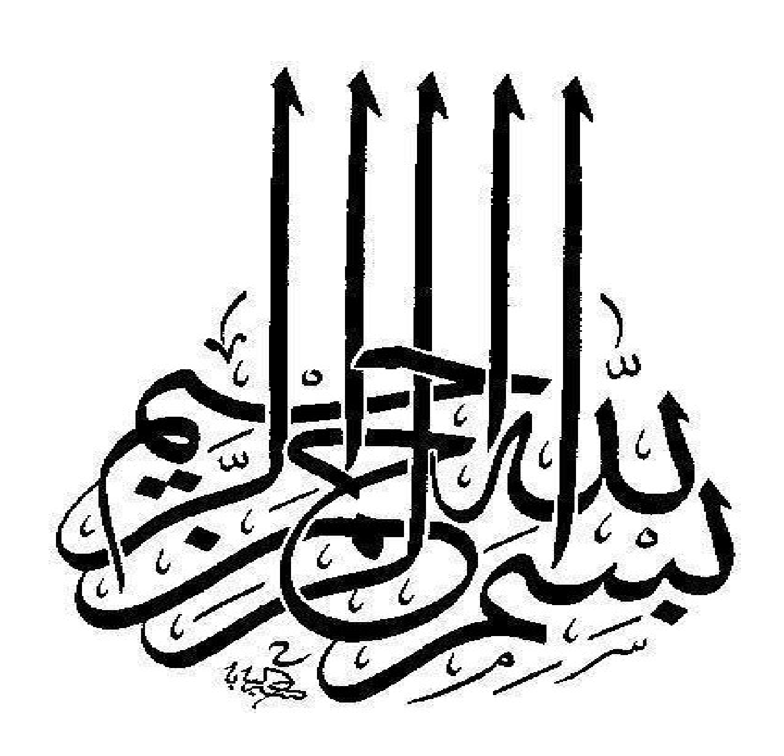
ISBN ٩٧٨ - ٩٩٥٧ - ٥٩٤ -٩٢ -٣(ردمك)

دار الجنان للنشر والتوزيع

الأردن – عمان – العبدلي – مركز جوهرة القدس – الطابق L
تلفاكس ٤٦٥٩٨٩١ – ٠٦ ص.ب: ٩٢٧٤٨٦ عمان ١١١٩٠ الأردن
E-mail: dar_ jenan@yahoo.com
www.daraljenan.com

بين أروقة الجامعة

خلود عبدالله النـازل


بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى....

من وقفت شامخة أمامي في مرحلة حاسمة من مراحل حياتي..

وستظل طودًا شامخًا يهتدي به سمّار ليل العلم إلى الأبد ..

إليك يا جمّة العطايا .. د. سعاد الردادي ..

أهدي كلماتي

خلود

المقدمة

بعد أعوام ليست بالقليلة أمضيتها بين تعليم اللغة العربية لطالبات المرحلة الثانوية – أقف بينهن أمًا رؤومًا ، تلملم شتات اللغة لتصنع جيلاً يزهو فخرًا بعربيته – وبين أعوام قضيتها في عملي الإشرافي ، أمتطي سيارتي من مدرسة إلى أخرى ، أزرع في معلماتي حبّ العطاء والتميز ، وروح الإبداع والتألق .... فجأة يتوقف قطار سيري في محطة جديدة ، لتحقيق حلم ظل يراودني منذ حصلت على وثيقة التخرج الجامعية ، فالتحقت بالجامعة لأكمل دراساتي العليا ، ويالها من أيام حلوة مرة .. سهلة صعبة .. أحبها حينًا وأكرهها أحيانًا .. لكني تعلمت فيها الكثير !!!

التحقت بالجامعة لأغوص في أعماق معشوقتي ، التي أبادلها حبًا بحب ، أمتطي صهوتها فتنقاد لي لتشعرني بأمان الراحلة .. فأغذ السير سعيدة مطمئنة .. لكني تعلمت في الماجستير الكثير ، تعلمت أكثر من البحوث والمقررات .. قابلت صنوفًا من البشر ، كلاً منهم ترك في ذاكرتي بصمة بالسلب أو الإيجاب .. كانت أستاذتي الموقرة أول أستاذة التقيتها في هذه المرحلة ، شعرت يومها بشعور الطالب الذي وجد أستاذًا موقرًا سيترك في حياته العلمية والنفسية بصمة لا يمحوها الزمان .. وسارت ركائب الأيام لتثبت لي أن عيني الناقدة لم تكن لتخطئ فهذا المعدن الثمين لا يمكن أن يكون يومًا ما جواهر مزيفة أو مقلدة ..

قد ننخدع ببعض البشر ، ويغرينا ملمسهم الناعم الجذاب ، ولكن الأيام هي التي تكشف النقاب عن الحقيقة ، وأنهيت المرحلة ومازالت ترتسم في أعماقي وتمكث في سويداء قلبي صورة هذه الإنسانة التي علمت أجيالا ، وتركت بصمات ، فأبت قدراتي الأدبية ، وحس قلمي المرهف إلا أن يسطرا فيها سفرًا خالدًا ينطق بوصف شخصية متميزة متألقة – ولعلّ قلمي حين يبادر لذلك يكون منصفًا ولا يغمطها حقها .. مهما قدمت لها فهو قليل ، لأستاذة علمتني منهج حياة ..

أضع بين يدي القارئ بوح قلمي في قامة من قامات التربية والتعليم في ميدان اللغة العربية في إحدى جامعات المملكة العربية السعودية ..

وإنّ هذه المقالات ستسير في طريقين :

طريق يرسم د .سعاد ، الوجه المشرق للعلم ، والجانب الإيجابي للأستاذ الجامعي .

وطريق يرسم الجانب السلبي لبعض من ارتقوا سلّم المناصب فهم واقع معاش ، والأشد ألمًا حينما يكون هؤلاء تسلحوا بسلاح العلم ، وأمضوا حياتهم في خير المهن ، فلم يطل العلم جانب الخلق ، ولم تقف مصنفاتهم وقراءاتهم حائلاً أمام جفوة الخلق ونبوة السلوك ..

وكان لزامًا أن نصوّر الجانب السلبي والإيجابي الذي وقفت عليه أبصارنا وأنكرت بعضه بصائرنا ، "وبضدها تتميز الأشياء"

كنتِ علمًا متفردًا مختلفًا عن الجميع ، وأترك للقارئ قراءتك من خلال مقالاتي القادمة .. فقد كنت الدافع لأن تخرج هذه المقالات إلى النور.

خلود

" الكسائي وتلميذاه "

كان هارون الرشيد يسير يومًا في طرقات قصره ببغداد ، فسمع صوت مؤدب ولديه الأمين والمأمون (الكسائي) ، وكان المعلم والمؤدب لابني أمير المؤمنين ؛ وحين انتهى من درسه ذات يوم تسابق الأميران لحمل نعل الأستاذ ووضعه أمامه ..

ما أعظم هذا الشيخ المعلم المؤدب !! وما أجلَّ قَدره في نفوس طلابه !!

يا ترى ما الذي جعل الأميرين يجلاّنه ويكبرانه ؟!

إنّه لأمر يحتاج من كلّ أستاذ أن يقف مع نفسه ، ويحاسب هذه النفس كثيرًا :

هل أخلص في أداء أمانة العلم ؟

هل أنزل هؤلاء الطلاب منزلة أبنائه حرصًا وحبًا ؟

هل استشعروا يومًا خوفه على مستقبلهم ؟

هل بذل الطرق الميسِّرة لوصول المعلومة ؟

هل وجههم تربويًا ، وكان دور المربي يتجلّى عنده قبل دور المعلّم ؟

هل استطاع أن يراوح بين أسلوب الجدّ والهزل ؟

وألبس العلم ثوب الفكاهة حينًا ؟ والحزم حينًا آخر ؟

هل ترفّق بطلابه مستشعرًا قيمة الرفق ، وهو ليس شعارًا بل ثابتًا من ثوابت ديننا (ما وضع الرفق في شيء إلا زانه ...) و (حُرِّم على النار كل هيّن ليّن سهل ، قريب من الناس) ..

هل أغنى معلوماتهم ، ووسع آفاقهم ، ووجههم للقراءة النافعة لدينهم ودنياهم ؟

هنيئًا للمعلم حين يكون متواضعًا لا يخالط نفسه العُجب ، ويعامل طلابه بحزم وحرص وحب ..

أنا على ثقة أنّ المعلم حين يكون بهذه الصفات ، وحين ينهج هذا النهج سيجد التوفيق في حياته ، ويلمس السعادة في بيته ، ويجني ثمرة إخلاصه دعوات لا تنقطع من جيل بل أجيالٍ رسم لهم طريق المستقبل .

إضاءة .. كنتِ أستاذتي ترسمين في ذهني صورة الكسائي حين تواضع فأحبّه طلاّبه فقد يكون الجامع بينكما علما وتقى وإخلاصا وحرصا على الطلاب ..

في قاعة الدرس ..

ماذا أحكي عن هذه القاعة ؟ وماذا أروي ؟ وماذا أقصّ ؟ في هذه القاعة ومع أستاذتي الموقرة تعلمت مئات المصنفات ، وقرأت مئات الكتب والأبحاث ..

في هذه القاعة ، ولأول مرة أسمعها من أستاذ جامعي : (العدالة تعني لي الكثير) .. لم تكن المساواة بين الطالب الذي يحضر جميع المحاضرات ، والطالب اللامبالي الذي اتخذ الغياب له شرعة ومنهاجا .. لم تكن المساواة بين من يسلّم واجباته الأول ، ومن يتهاون .. لم تكن المساواة القاتلة بين من يعاني مرارة الدرس ، ومشقة البحث ، ومن دأب على الاستهتار وقلة الاهتمام ..

في هذه القاعة أصبح لي فكر جديد .. اتسعت آفاقي اللغوية ، وأصبحت أتأمل اللغة من القرن الثاني إلى القرن الحادي والعشرين ، وأصبحت شغلي الشاغل .. تلك الأسئلة والأبحاث والمصنفات خلقت لي فكرًا مذبذبًا ، ولكنه فكر باحث عن الحقيقة ، يقرأ بنهم ، ويبحث في شغف ، تشغله لغة القرآن الكريم والحديث الشريف ولغة العرب ولهجاتهم .. وقد يضيع بين هذه اللهجات ما الفصيح منها ؟ وما الأقل فصاحة ؟ ولماذا اختار النحاة سبع قبائل دون سواها ليضعوا قواعد اللغة العربية وفق ما نطق أصحابها ، وأهملوا القبائل الأخرى ؟ أسئلة كثيرة تعتصر فكري ، وتهجم على فؤادي فيضيق حينًا عندما يحار جوابًا ، ويتسع أحيانًا عندما يعثر على بصيص النور ..

في هذه القاعة تعثرت ، وتألمت ، وضقت ، وفرحت ، ولكن هذه سبيل العلم .. متى كانت ركوبة منقادة لصاحبها ؟ لابّد أن تجفل حينًا وتنقاد آخر !!

في هذه القاعة تأملت أستاذتي كثيرًا ، وكانت عيني الناقدة تبحث عمّا يمتاز به كل أستاذ عن غيره لتنهج نهج ابن المقفع في تأديبه لنفسه ، فكنت أرى في أستاذتي شغف

العالم ، وتجدّد الباحث ، وصبر المعلّم ، وورع الزاهد ، وصمت الحكيم ، وعفة اللسان عن اللغو .. كنت أتأمل وأرصد فتتعاظم أمامي مع الأيام ، وأزداد يقينًا أن الإنسان إن أصلح باطنه صلح ظاهره ..

إضاءة .. الخُلُق للمعلّم هو أساس تميزه ، ومن فاقك في الخلق فاقك في الدين .. وكنتِ يا أستاذتي خلقًا يندر وجوده في أيامنا هذه !!

في الجامعة تعلمت ..

لقد تعلمت في الجامعة الكثير .. تعلمت أكثر من البحوث والمقررات .. وأكثر من اللغة والمصنفات ..

في الجامعة تعلمت الشدة والقسوة ..

تعلمت أن أكون حجرًا صلدًا ..

تعلمت أن أخلع رداء المشاعر والأحاسيس ..

تعلمت الصبر على الألم والظلم والبطش ..

تعلمت أن أسكت عن الحق وكنت يومًا ما لا أطيقها . ولكنّ الحق سيصدع الباطل يومًا .

تعلمت أن المرارة مذاق لذيذ حين يوصلك لغايتك ..

تعلمت أن الطعوم نكهات وألذها لقلبك ما تحب .

ولكني أيقنت ..

أنّ الدرجة العلمية هباء منثور حين لا يصاحبها فضل العلم ونور الرحمن .

وأنّ غربة الفكر مرة قاسية .

وأنّي لابّد أن أحلّق خارج السرب حتى لا أفقد هويتي ، ولا تضيع مبادئي ، ولا تغرق ثوابتي في طوفان الفكر السقيم ..

وأنّا في زمن قلت فيه وندرت الإنسانية ، ولكن من يجدها في نفسه يعض عليها بالنواجذ ..

إضاءة .. في كل زاوية مظلمة لابّد أن تجد بصيص أمل ..كنتِ أستاذتي ذلك النور الذي يبدد الظلمات من حولي ، ويوقد مشاعل الأمل والتفاؤل في كل الليالي السرمدية ..

بانت سعاد ..

قد تنجب لك رحم الأيام أخًا تألفه نفسك ، وتتعلق به روحك ، وتتقارب القلوب بأخوة عجيبة .. فتتساءل عن عمق هذه المشاعر : ما دوافعه ؟ وما أسبابه ؟ وما سرّ هذا التقارب ؟

لقد تقاربت القلوب وتآخينا في رحاب العلم ، ولم يكن العلم وحده هو الذي يربط الأحبة ، ويوثق عرى محبتهم ، ولكنه قانون تلاقي الأرواح العجيب ، فالأرواح لا تتلاقى إلا حين يجد صديقان أمورًا كثيرة قربت بينهما .. وإني لأرى أنّ الصداقة والأخوة والمحبة لا تأتي دون تكافؤ فكري ونفسي وروحي ..

في كل مراحل حياتي الدراسية والتعليمية والإنسانية كانت زهور المحبة تزين طريقي ، لقد كان عندي إيمان عميق أن الحب هو حلّ لكل مشاكل الوجود ، فلو أحب الأب أبناءه وعاملهم بحب ، والمعلم طلابه ، والأخ أخوته والرئيس مرؤوسيه .... لعمّ السلام والأمن النفسي ، ونحن بذلك لن نبتدع حلاً سحريًا لمشاكلنا ، بل نعود بعمق لديننا العظيم حين قرر مبدأ الحب كأساس للإيمان الحق :

(لا يؤمن أحدك حتى يحبّ لأخيه ما يحب لنفسه) ..

وبعيد عن النظرية ، ومن خلال التجربة والتطبيق كنت المعلمة المحبة لطالباتها ، والمشرفة المحبة لمعلماتها ، والأم المحبة لأسرتها ، وحين عدت لمقاعد الدراسة من جديد وجدتُ في نفسي الطالبة المحبة لأساتذتها ، كيف لا وهم خلقوا لي فكرًا جديدًا ، وطموحًا عظيمًا ، وقدوة أحلم بالوصول لبعض جمالياتها ..

فكانت أستاذتي هي رائدة هذا الجمع الذي سكن عقلي وفكري وروحي برهة من الزمن .. وكانت سيدة قائمتي الجميلة .. لقد كنت أشعر بأخوتها كنهر رقراق يجري بعذوبة لا تكدره مكدرات المشاعر البشرية .. لكن لم أكن أستعجب هذا الشعور فالروابط كثيرة إنه حب اللغة ، وحب العلم ، وسمو الفكر ، ورجاحة العقل ، وفرط الطموح ، وحب المعالي ، وروح مزجت كل ذلك لتألف هذه الإنسانة العظيمة ..

كنت أنتظر كل يوم وبشغف حلقتها العلمية لأتنقل في رياض النحاة ، كلما أهدت لي اسم عالمٍ حلّقت روحي للآفاق فرحًا وسعادة ، وكلما تصفحت معي مؤلفًا غمرتني بسعادة لا تعلمها ، وكلما كلفتني ببحث أو دراسة أثلجت فؤادي بجديد سأضيفه لرصيد خبراتي البحثية ..

كنت أجلّ هذا العلم الذي أجنيه من سويعتها الأسبوعية ، وأنتظر هذه السويعة بشغف .. ومرّ الفصل الأول سريعًا ماتعًا مؤثرًا بكل ما فيه ، ليشرق فصل جديد ساء قلبي حين لم أجد اسم أستاذتي ضمن أساتذة هذا الفصل ، فلم يشرق ذلك الفصل لنهايته ، لم ألتمس فيه العلم التماس محب ، بل تجرّعته بمرار ، وذقت فيه كؤوس الضياع وازدردت المقررات بغصة لا تنتهي .. كان كل يوم من أيامه مرًا ثقيلاً ، كنت أحمل محاضراتي بتثاقل وأسير إلى القاعات وأنا أردد: (بانت سعاد) ، لكنّه بينٌ من نوع أليم لطالب أضاع طريق العلم لعقدين من الزمان ثمّ وجد ضالته ، وعثر مبتغاه في شخص هذا الأستاذ .. كانت أستاذتي هي أنموذج العلم الذي يستهويني لا سيمّا وهي أستاذة بارزة في النحو والصرف وهذا العلم الذي أمضيت طفولتي وشبابي أستعذب مذاقه ، وآنس بلحظات خلوتي مع مصنفاته ، وأسعد بفك رموزه وحلّ ألغازه ، وتستهويني حفظ شواذه ، وأقف مع المسألة فيه الساعات الطوال بلا ملل ولا كلل .

حين بانت وغادرت القاعات ، بدأت أتأمل في أساتذتي من منهم يشبهك يا أستاذتي ؟ من منهم سيسد الثغرة كما يسدّ الفاعل مسدّ الخبر ؟ من سيقدّم لي العلم على طبق العدالة والأريحية ؟ من سيعلمني بحب الأستاذ لطالبه المتفوق المتميز ؟!

وطالت (من) وانتهى العام وأنا أبحث ، ولات وقت بحث !! حينها أدركت أن فراستي لا تخطئ وأن قلبي حين أستفتيه لم يخذلني يومًا ، وأن شعوري الصادق هبة ربانية أحمد الله عليها ..

أدركت أنها وحدها الأنموذج الأميز للأستاذ الجامعي :

أنموذج العلم ، وأنموذج البحث ..

رمز العدالة ، ورمز الصدق ..

معدن الأمانة ، ومعدن النقاء ..

صورة الإخاء الذي تصوره المواقف ..

وهل كان احتمال البين بمستطاع ؟!

إضاءة .. (بنتم وبنّا فما ابتلت جوانحنا)

للبين ثمرة يدركها الأخوة ، حين تشعرهم بقيمة من فارقوه ، وتعقب هذه المرارة حلاوة اللقاء .

حين تتلاقى الأرواح ..

حديث الروح للأرواح يسري   وتدركه القلوب بلا عناء

قانون تلاقي الأرواح قانون عجيب ..

الأرواح المتحابة يكتب القدر لقاءها منذ النظرة الأولى ..

هي أرواح تتحدث بصدق .

وتتعامل بحب .. بلا قيود .

لا تتلاقى لمصحلة أو هدف .

وإنما يجمعها حبّ سرمدي ..

تجري مشاعرها كنهر رقراق ..

وتحلّق في فضاءات الوجود كطير حرٍّ طليق ..

تغرّد بحب .. وتتحدث بحب .. وتتأمل بحب ..

تسافر في كل الدروب لا تفترق ..

تحزم أمتعتها ، وترحل ، وتقطع الفيافي ، وتتجاوز المحيطات ، وهي تحمل بعضها بعضًا ..

إنها أرواح تلاقت في عالم الغيب ..

ثمّ كتب الله لقاءها في عالم الأرض ..

لتخلق لبعضها لونًا من السعادة ذا نكهة عجيبة ..

إن سعادة الأخوة والمحبة الصادقة ذات مذاق لا تشابهه الطعوم والمذاقات ..

فرح لقاء ..

وألم غياب ..

وتمتمات دعاء ..

الأرواح .. حكاية عجيبة إن تلاقت كان الأنس والفرح والسعادة والحبور .. وإن تنافرت كان الجفاء والثقل واستحالت اللحظات الوردية إلى لحظات قاتمة لا تطاق .. ولكن ماذا حين تتلاقى روح الطالب بأستاذه ؟! ويغدو هذا الطالب لحلقته العلمية بكل السعادة والانشراح !!

إنّ العلم يصبح ذا نكهة عجيبة ..

وساعات الدرس تغدو ماتعة ..

ولحظات الامتحان بلا رهبة ..

سيستعذب مرارة العلم ..

ويستقيه عذبًا زلالاً ..

وتمرّ لحظاته سلسة رقراقة ..

فتصير المحاضرات بلسمًا يداوي الجراح ..

وتصبح الكتب والمجلدات مصدر ارتياح ..

ويغدو القلم والورقة أجمل سلاح ..

إنّ المعلّم الحق هو الذي يستولي على مشاعر طلابه قبل عقولهم ، فإن استجابت الروح والعاطفة انساق العقل بلا وعي .. وتجرّع العلم مهما كان مرًّا .. الكثير من الأساتذة يقدم علومه ومعارفه ، وحصاد سنوات طويلة أمضاها في العلم والتعليم ، بصورة لا تقبلها النفس ، ولا تثمر مهما سقاها بماء فكره الغزير .. لأنها علوم جافة لم تمازجها روحه ، ولم تسبقها ابتسامته ، تفتقد للطف المعلم ورحمته وتواضعه ..

إن كنت أيها المعلم تريد أن تعزف على أوتار القلوب ، كي تصل للعقول ، وتستثمر الطاقات فهاك السبيل :

- الوصفة السحرية أن تحب طلابك أولاً .
- أن تراعي مبدأ العدالة، ومن العدالة أن تميز المتميز وتحزم مع المتهاون ، وتعطي كل ذي حق حقه .
- أن تبدأ يومك بابتسامتك المشرقة التي تشعرهم بالاطمئنان والبيئة الآمنة .
- أنّ تقدّم العلم بإخلاص ، فلا تضع وقتهم دون فائدة ليطرح الله لك البركة في حياتك كلها .
- ألا تنظر لهم نظرة سوداوية ، اخلع تلك الأفكار السوداء عن مستوى جيل اليوم وما يوصم به من اللامبالاة ، وعدم الاهتمام ، فوالله في كل جيل يضع الله طاقات تنقذ هذه الأمة .
- عليك أن تعاملهم باحترام وتقدير ، احترمهم واحترم عقولهم يحترموك .

– اجعل طريقك مع طلابك حزما في غير عنف ، ولينا في غير ضعف تكسب قلوبهم وعقولهم .

- العلم ثقيل الوطأة ، طرقه وعرة شاقة ، فروّح عنهم بالطرفة والفكاهة دون أن ينقلب الموقف لهزل ويفرط الأمر من يدك .

- تواضع مع طلابك ، وكن قريبًا منهم ، بادرهم بالسلام وتفقد أحوالهم ، تقرّب من اليتيم ، وامسح على رأس المريض ، وشاركهم أفراحهم بالكلمة الطيبة ، فهذا لا يقلل من شأنك أبدًا ، بل يجعلك قريبًا من قلوبهم ، ولكن في توسط ، فالتواضع لا يعني أن تصبح بلا هيبة أمامهم ، والتعامل فن .

- لتعلم أن الفروق الفردية لا مناص منها ، في الفكر والعقل والطباع ، والتميز أن تتعامل مع كل فئة بما يناسبها .

إضاءة .. الأستاذ القدير قد لا تتلاقى روحه مع جميع طلابه ، وقد يحب البعض ، ويميل للبعض ، ويستثقل الآخرين ، ولكن من العدالة ألا يبدي هذه المشاعر في قاعة الدرس بل يكون عنده من القدرة على تنحية مشاعره مما يليق بمكانته العلمية .

صداقة أربعين عامًا

حين سطر شكيب أرسلان كتابه " شوقي أو صداقة أربعين سنة " استوقفني العنوان كثيرًا : ما هذه الصداقة التي دامت لأربعين سنة ؟! وأيّ نوع من البشر هذان الصديقان ؟ هل ينتميان لكوكبنا ؟ وهل هما من أصناف البشر الذين قابلتهم ؟

الصداقة شعور عظيم ، وأن يكسب الإنسان في حياته صديقًا فهذه هبة السماء ، وكرم الربّ ، لذلك كان العرب قديمًا يرون الخلّ الوفي من المستحيلات .. وإن كان هذا في زمنهم زمن العروبة والشهامة والوفاء وكرم النفس ، فكيف به في زماننا ؟!

إن الإنسان الذي استطاع في حياته أن يبني صداقة مستدامة لعقود من الزمان هو إنسان خارج عن المألوف ، بل من أعاجيب الزمان ، ولا شك أن لهذا الإنسان من صفاء الباطن ، وطيب المعشر ، ونقاء القلب ، وطهر النفس الشيء الكثير ، فهنيئًا له نفسه قبل صداقته ، فلولا هذه النفس ما تمسك به صديقه ، وحرص على بقاء ودّه ..

ولماذا الصديق ؟!

لماذا الصداقة ؟!

الصديق هو أخ أنجبته لك رحم الأيام ، يحزن لحزنك ويفرح لفرحك ، ويبكي لدمعتك ، ويسهر الليل لألمك ، يقدمك على نفسه ، أبناؤك هم أبناؤه ، وسعادتك تسعد قلبه ، يخشى عليك من رياح الزمان ، يحملك معه في صلواته ودعواته ..

إن ألمت بك الملمات ستذكره دون سواه ..

وإن بحثت في ثنايا فكرك عمّن يشاطرك الهم لن يخطر ببالك غيره ..

فأنت خَبِرْتَهُ عن تجربة ..

وأثبتت لك الأيام صدق حدسك ..

وأكدت لك المواقف يقين ظنك ..

هذا هو الصديق ..

أمَّا الصداقة فهي زاد الطريق في الحياة ..

وبلسم الآلام في الوجود ..

إنها من النعم الجميلة ..

إنها حياة منعمة بالحب ..

تجد فيها إنسانًا تهاتفه ، وتراه ، وتتواصل معه بحب تشرق لحظات يومك حين تلتقي به ..

ويحدوك الشوق لرؤيته إن ابتعدت عنه ..

فتبذل كلّ سبل الوصل ..

لأنه معنى السعادة ، والراحة ، والغبطة ..

هذه هي الصداقة الحقة التي تسطرها المواقف وتغذيها ، وتغدو مع الأيام أعمق من أخوة الدم ..

فكيف حين يكون صديقك هو أستاذك ؟

لقد خلّد التاريخ صداقات وأخوات وثق عراها ميثاق العلم وارتبطت بحلقات الدرس ، لعّل من أبرزها أخوة سيبويه وصداقته لأستاذه الخليل ، وابن جني لشيخه أبي علي الفارسي ....

حين يكون صديقك هو أستاذك سيحكم هذه الصداقة اختيار غير معهود لأن الالتقاء لم يكن روحيًا فحسب ، بل التقت الروح ، والتقى الفكر ، وتوحدت الغايات والأهداف ، وتقاربت الرؤى ، فاستحال هذا المزيج لعلاقة أخوية أبدية ، سوف تزهر وتثمر مع الزمن ..

حين تجتمعان ستتسع آفاق الحوار ، ستجد حلاوة الصديق الذي تستشيره فتثق بفكره ، وتسألهُ فيجيبك ، وتهرع إليه عند الملمات فتعلم أنه لن يخذلك .

ما أجمل أن يجد الطالب في أستاذه صديقًا !!

وما أروع أن يتخذ الأستاذ أحد طلابه صديقًا !!

إنها سيمياء تواضع من الأستاذ ، وأمارات إخلاص وقبول جعلته قريبًا من قلوب طلابه ..

البعض يرى أن وضع الحواجز بينه وبين الطلاب علامة تميز ، ودلالة على قوة الشخصية ، وإني أجزم بأنّ هذا النوع من الأساتذة لا يملك من مقومات الشخصية ما يجعله يتعامل بمبدأ الشعرة ، فبين اللين والضعف شعرة ، وبين الكرم والتبذير شعرة ، وبين البخل والتدبير شعرة ، كذلك بين اللطف والهرج والمرج شعرة ..

حين يكون الأستاذ متميزًا سيقود دفة الرحلة الصفيَّة بحكمة ، فوقت للعلم ، ووقت للطرفة ، ووقت للشدة ، ووقت للوعظ ، يراوح بين المعلومة والفكاهة ، وبين الحديث مع طلابه وتوجيههم ، يعيش معهم مواقف تعليمية وتربوية ، وينخرط معهم في الأنشطة ، ويكون قدوة لهم ، حينها سيلامس شغاف قلوبهم ، ويغدو مؤثرًا ، ومهما قسا عليهم ستكون قسوة أب ، ومهما أطال عليهم تقديم الأفكار ، وسرد الأبحاث لن تملّ النفوس ، لأن القلوب تتلقى قبل العقول ...

ألا نؤمن بأن القلب هو القائد في كل ميادين الحياة ؟!

إضاءة ..

صديقك من ناجاك بالود قلبه   وليس لمن تحت التراب صديق .

الصداقة في ظلال العلم أغصانها ممتدة إلى رياض الجنان ..

عناء العلم

من ذاق حلاوة العلم .. وعشق ملازمة المتون .. وسهر الليالي مع المصنفات ، يستعذب مذاق الدرس ، ويستروح نسمات الفكر ، تداعب عينيه السطور والحروف ، ويشتم رائحة الورق والمداد ، هو من يعرف أن للعلم حلاوة لا تخلو من قسوة .. فحلاوته ممزوجة بمرارة ، وراحته ممزوجة بعناء !!

لا يستطيع العلم من يهوى ملذات الحياة ..

ولا يروم العلم من عشق النوم والكسل ..

ولن يبلغ منازل العلماء من لم يذق كأس الصبر ..

العلم حلّة لا يرتديها إلا من غالب هواه ، وجعل سلطان عقله قبل سلطان قلبه ؛ هو حلية لا تزين إلا من اختارهم الله واصطفاهم من عباده ، العلم يلازم التقوى ، فكيف ينال العلم حاقد أو حاسد شغل نفسه بالبشر ، وأكلت قلبه نار الحسد ، يمضي أيامه يتأمل الخلق ، أقصى أمانيه أن يملك توزيع الأرزاق ليعطي ويحرم ..

العلم نور الله يؤتيه من يشاء .. العلم ليس الدرجة العلمية أو الشهادة ، إنما هو ما فتح الله به عليك من سعة البصر والبصيرة ، فأثمر نتاجه في حياتك ، لتجتاز به عقبات الحياة ، فتحلم عن هذا ، وتصفح عن هذا ، وتعطي هذا ، وتقدم من نفسك ألوان الجود ، جود النفس وجود اليد وجود الإحساس بالآخرين ، فتسجل في صحيفة وجودك ما تجده عند أكرم الأكرمين جبالاً من الحسنات ..

" من تعلم العلم ليباهي به العلماء ، أو يماري به السفهاء ، أو يصرف به وجوه الناس إليه ، أدخله الله جهنم " والعياذ بالله ، إنّ الله ليعطي العبد مبتغاه ونواياه ، فمن

جعل هذا العلم بابًا للخير وجد ذلك بركة في عمره وماله ووقته ، ولمس فتحًا ونصرًا وتوفيقًا في مناحي حياته ، ومن جعله لسوى ذلك وجد ما يبتغي ..

حين يهب الله المرء الإخلاص ، ويكرمه بالقبول ، تفتح له آفاق العلم ، ويجد طريقه ميسرة مذللة ، ويسخر له من البشر من يقفون بجانبه ، ليمضي في الركاب غير آبه بما يلاقيه من الصعاب ..

وهل للعلم قسوة ؟

إنها قسوة أيما قسوة !!

العلم لا يتحصل إلا بالسهر ومغالبة النفس ..

وترك الملذات ، وتقوى الله ..

فإذا أعطيت العلم كلك أعطاك بعضه ، وإذا أعطيته بعضك لم يعطك شيئًا ..

هذه الأنوار الرحمانية لن تتجلى في حياتك إلا حين تصفو نفسك ، ويطهر قلبك ، وتشغل نفسك برب البشر ، قبل أن تشغل نفسك بالبشر ..

والاستعانة على طلب العلم وبلوغ المرام فيه بكثرة الذكر ، والحرص على الأوراد ، وتعاهد الفقراء والمساكين ، والبذل لأصحاب الحاجات ، والتقرّب لله بالطاعات ، وأولها أداء الفرائض وبر الوالدين .. كلّها تصل بالمرء لغاية أسمى مما يتخيل .

وقديمًا قيل :

إذا كان يؤذيك حرّ المصيف وكرب الخريف وبرد الشتا

ويلهيك حسن زمان الربيع فأخذك للعلم قل لي متى ؟

***

العلم كالقفل إن ألفتيه عسرًا فخلّه ثم عاوده لينفتحا

إضاءة ..

أجمل ألوان الإخاء ، ما كان لله ، لا هدف من ورائه ، ولا مصالح وغايات تحكمه ، وأعذبها ما نسجت لحظاته ، وقوّت عراه ساعات العلم .

كلٌّ سيصل غايته !!

من سمات البشر الاختلاف ، تختلف الأجناس والأشكال ، ويختلف الفكر ، وتختلف العادات ، تتفاوت العقائد ، وتتباين الأحاسيس والمشاعر .. وحين نختلف في أمور شتّى ، ونتعايش رغم هذا الاختلاف فإننا نحقق مبدأ الخلافة في الأرض ، وهو عمارتها ، وتحقيق الغاية الأسمى لوجودنا وهي العبودية .. وعندما نؤمن بحقيقة الاختلاف ، فنحن نعلم يقينًا أن هناك غايات متباينة لبني الإنسان دون الغاية الكبرى ..

فهناك الكثير من البشر ، بل السواد الأعظم جعلوا غايتهم في الحياة (المال) ، وأمضوا أعمارهم في هذه اللعبة الحقيرة ، وهي التلذذ بالأرقام التي تزداد ، فوصلوا لغايتهم لأنهم سعوا لها سعيها ، ونسوا أن المال وسيلة لا غاية ..

وهناك من ابتغى العيش يتقلب بين رغباته ، ويطيع هواه ، فلا يمنع نفسه هواها من طعام وشراب ، ومشاهدة للحرام ، وسماع اللغو ، فأطلق بصره في الحرام وسمعه في الحرام ، وقد يبيح لنفسه أكل الحرام ، ويستبيح حقوق الخلق بلسانه ويده ، فهذا عبد الهوى ، وهواه يورده المهالك ..

وهناك من خلقه الله وفطره على حب الخير ، فجعل غايته السعي في الخير ، يعشق رسم البسمة على وجوه البشر ، ويعيش حياته يطعم فقيرًا ، أو يمسح على رأس يتيم ، يغيث ملهوفًا ، ويعين مكروبًا ، غايته في الحياة قضاء حاجات أخوته ، وسعادته وقرة عينه أن يجد من يحتاج إليه ، لا يبخل بمشورة ، ولا يشح بمال ، ولا يضيق بسائل ، لأن العطاء فيه جبلّة ، تعوّد كرم اليد وكرم النفس وهما متلازمان ، هذه النفوس العظيمة غاياتها تعانق السحاب لتستمطر الخير لكل عابر يعبر حياتها ، وهممها جاوزت الثرى لتصل الثريا ..

ومن كواكب البشر ، ومصابيح الدّجى من جعل غايته نيل العلم ، ففي فجره قارئ ، وفي ضحاه متحلق في حِلق العلم ، وفي مساه وسحره كاتب ، لا يملّ ولا يكلّ ..

إنّ ملازمة الكتب أشهى إلى نفسه من متع الحياة جميعًا ، حجبته نوايا العلم عن مجالس اللغو .. وجد البركة في حياته ووقته وماله ببركة العلم ، وكلّها جنود الله إن حلّت بركاته ازداد المال ، وامتدّ الوقت ، ونعمت الحال والصّحة ..

العلم لا يأتي للمرء إلا بالخير ، فلا تكاد تجد عالمًا تمتعه المحرمات ، وينفق الأوقات في الملذات ..

لعمري إن طلب العلم لأسمى غايات الوجود ، فهنيئًا لمن وجد في نفسه عالمًا ومعلّمًا ، وابتغى في ذلك وجه الله ..

إنها غاية دونها كلّ الغايات ، وهمة تقصر دونها الهمم ، بل إنّ تفضيل العالم على العابد لم يأت عبثًا ، فالعابد عبادته تنتفع بها نفسه ولا يجاوزه في الغالب ، أمّا العالم فعلمه يصل لغيره وينفع به الإسلام والمسلمين ويخدم به وطنه وأمته ، لا سيمّا إن حرص على زكاة علمه ، وبذل سبل نشره ، وإفادة غيره ..

كلّ إنسان يضع له غاية في الحياة سيصل إلى غايته ، لأنه حين ابتغى الهدف رسم له ، وأعدّ العدة ، وخطط ، ونفّذ ، ولكن أسئلتي الحائرة :

لماذا بعض النفوس ترسم على طريق الشر خطاها ؟

ولماذا إيلام الآخرين ينال استحسانها ورضاها ؟

لماذا خلق الله لنا نفوسًا سامية ونترك طريق الصواب ؟

ولماذا هدانا وأرشدنا ونسير في طريق يباب ؟

إنه لعجب عجاب !!

لا تجد له جواب !!

إضاءة ..

رفقة الأخيار تسمو بالغايات ، تأمل في مراحل حياتك المختلفة ، تجد كل مرحلة رافقت فيها شخصًا ما قد أثر في طباعك وعاداتك ، فاتسمت بسماته ، وجاريته في رغباته ، نسأل الله أن يمنّ علينا ورفقائنا بالفردوس الأعلى من الجنة .

العدالة ..

العدالة ميزان يؤرق ذوي الضمائر اليقظة ، ويشغل فكر أصحاب القلوب المؤمنة ، والنوايا الطاهرة . العدالة مطلب الأمم والشعوب .. لقد أخذ الله عزّ وجل على نفسه مبدأ العدالة ، وجعل من صفاته (العدل) ، ثمّ أمر البشر به ليسود الأمن النفسي ..

لقد هزت وجداني هذه الكلمة كثيرًا عندما سمعتها يومًا من أستاذتي : (تهمني العدالة كثيرًا) ، تأملت الكلمة وكأني لأول مرة أسمعها ، استشعرت عظمة الأمر ، واستشعرت خطورة الظلم في الموقف التدريسي ، الظلم بحروفه الثلاثة يوحي بمنظر بشع ، ويشعرنا باشتقاقه من الظلام الأسود الحالك ، ويحمل معاني الخوف والفزع ، والقلق :

الظاء .. هذا الحرف البصري، يدل على القسوة والخشونة، ويعني الظهور (وضع الشيء في غير موضعه)، وفيه تظهر أبشع صور القسوة.

اللام .. وهو حرف لمسي ذوقي، وكأنك تتذوق مرارته التي تكرهها النفوس .

الميم ..انطباق الشفة على الشفة يوحي بالانغلاق والسد، فهو صوت بصري إيمائي يصور الألم والمعاناة التي يشعر بها المظلوم .

إنها كتلة تشعر بالهيبة ؛ وبعض البشر حين ينطق ويفصح عن أمر اعتاده ، أو هو من الثوابت لديه ، لا يدري بأن هذه العبارة التي شاء الله أن يطلقها من فيه هي طريق هداية لغيره ، أو وسيلة صحوة لأحد البشر ..

إنها عبارة قصيرة أطلقتها أستاذتي في يوم ما ، فجعلت أتأملها لأيام ، وأراجع حسابات عدالتي مع معلماتي في الميدان ، قد لا أكون بخست أحدًا حقه ، أو أنقصت

معلمةً درجة ، ولكن قد أكون – وكثيرًا – ساويت معلمة متوسطة المستوى بأخرى تكدّ وتكدح ، أو رفعت تلك درجة فدانت من هي خير منها ، وهذا من أنواع الظلم ، ومجاوزة العدل.

الكثير من الأساتذة يأتي على الطالب المتميز ، ويحاسبه بكل دقة ، ويفتح الله عليه بمراعاة الأسلوب ، ودقة المصطلح ، وسلامة اللغة ، واكتمال الإجابات ، وتميز الفكر .... كي لا يصل به للدرجة النهائية ، فإذا بدأ بالنزول للمستويات الأدنى تنازل عن هذه الثوابت ، وبدأت الرحمة تتجلى ولعله الخوف من أن يزداد مقدار الرسوب عنده ، أو تهيب تدني مستويات طلابه ، حينها يبدأ الكرم الحاتمي ، وسخاء اليد ، فيكيل لهذا ثلاثًا ، وذلك خمسًا !!

وهنيئًا للطلاب مقياس الرحمة ، وما أجملها من مفاجأة للكسالى حين تصدمهم نتائجهم المتميزة ! .ولكن أين سيذهب هؤلاء عند الحساب ؟! وبمَ سيبررون هذه الأفعال الشنعاء ؟!

إنّ الألم الذي يعانيه الطالب المتميز علميًا كبير ، حين يجد نتاج سهره ، ومسامرته للكتب ، وبحثه المستمر ، وقضاء ساعات طوال ذبلت فيها عيناه من المطالعة والدرس ، كلّ ذلك نتاجه المساواة مع من أجاد اللعب وسار مع هواه ، وكل جهده وغايته سويعات قبل الامتحان تصفح فيها المادة ، وقرأ بعض الأفكار ليبعثرها في الورقة ، وعلى أستاذه الموقر فك شفرتها ! .

هذه النماذج من الأساتذة لا تخرج عن صنفين :

إمّا أن تكون من صنف يشعر بتقصيره في العطاء ، ويشك في مقدرته على الوصول بالطالب لمرحلة من الفهم والوعي العلمي ، فهو يحاول أن يثبت لنفسه تميزه قبل تميز طلابه من خلال نتائجهم التي ترضيه .

وإمّا أن يكون عنده خلل في القدرة على وضع امتحان يقيس مختلف المستويات ، وتتضح فيه الفروق الفردية ، فينال كل طالب المستوى الملائم له ..

أمانة التعليم عظيمة ، وأسمى ما فيها أن يتسم المعلم بالإخلاص ، والعدالة .. لذلك أرهفت سمعي لك أستاذتي، ثمّ أمضيت الأيام والشهور أتأمل مقياسك ، لقد كنت بحق تزنين كل الأمور بميزان العدالة ..

فالمادة العلمية تقدم بمقياس يرتقي بالطالب للمستوى الملائم ، ويناسب طموح الراغب بالعلم .

ومن العدالة ألا يختزل المقرر بما يبخس الطالب حقه في التعلّم ، والنمو الفكري ، ومراعاة ساعات العلم والالتزام بها ، فمن الطلاب من تأنس روحه بضياع ساعة علمية ، ولكن منهم من تضيق روحه بفوات العلم ، ويرى الدقائق فيه من المغانم ..

والفن في وضع الامتحانات ، هو من الأمور الهامة التي تراعى فيها العدالة ، فالأستاذ الجيد لا يروم في امتحاناته التعقيد ويركب الصعب ، ولا يختارها من المستوى الأدنى ، أو يجعلها لا تتجاوز عشر المقرر ، فكل هذه الأمور يجب أن توضع في الحسبان ، فالامتحان الجيد ، يدلّ على معلم جيد ، صاحب فكر جيّد ، له باع في كافة المواقف التدريسية ..

ولا ننسى أن ما يكمّل وضع الامتحان ، هو تصحيح هذا الامتحان ، فلابدّ أن تتجرد النفس من هواها ، ويمحى من الذهن كل موقف سابق مع الطالب ، فالتزام الموضوعية هو أمارة عدالة وأمانة ..

إنّ النفس مجبولة على الهوى ، والحب والبغض ، والميل ، وكل هذا قد يوجد منه بين الطالب والأستاذ الكثير ، فنحن بشر ، وأرواحنا جنود بين يدي الله يصرفها ، فقد

تميل النفوس ، وقد تهوى الأفئدة ، وقد تتقلب القلوب ، ولكن هذه المعايير الذاتية يجب أن تكون خارج قاعة الدرس لا تحكم مشاركة الطالب ، والثناء عليه ، ووضع درجاته ، وتصحيح أوراقه ، وإلا جاوز ميزان العدالة ، وفاز الطالب بما ليس من حقه ، وستقف يوم الحساب وتسأل أيها المعلم ..

إضاءة ..

هنيئًا للطالب حين يجد نفسه مع أستاذ ، يرسم له طريق القيم والحق كما يرسم له طريق العلم .. ستعود هذه الخيوط الذهبية نسيج دعوات لكل الأساتذة الأتقياء كما كانت أستاذتي التي كنت ومازلت أنسج لها خيوط دعائي ، وأسأل المولى قبولها ..

القلب

مضغة إذا صلحت صلح الجسد ، وإذا فسدت فسد الجسد .. مزيج من لحم ودم يفعل الأفاعيل ..

قوته تفوق قوة العقل في أحايين كثيرة ..

موطن الحب والشعور ..

باعث الأنس والسرور ..

يعيش الألم والذكريات ..

ويذوق الفرح كما يذوق الآهات ..

ما أقساه حين يتحكم بالإنسان !!

فيصبح أسير الهوى والوجدان ..

وما أعذبه حين يرقّ ويصفو ..

فتجد نفسك تتوق لأحبتك وتهفو !!

وما أبشعه حين يسودّ ويعلوه الران ..

فيسير بنا في طريق الشرّ والخذلان !!

هو مضغة تفعل ما لا تتصور ، وهو موطن الهوى ، ومتى جاوز صنيع القلب صنيع العقل أورد الإنسان المهالك .. فهذا القلب يسعد بنيل رغباته ، والسير وفق متطلباته .. إنه يهوى الدعة والراحة ، ويسعد حين تذلل له سبل الكسل والخمول .. إنّ القلب

يهوى الملذات ، من طعوم ومذاقات ، وسهرات وأمسيات ، وجلوس أمام القنوات ، وكسل ونوم وانفلات ..

لا يقودك قلبك إلى الكتب والمجلدات ، والتقلب في رياض العبادات ، وألوان الطاعات .

فطرق الخير مشرّعة ، وأبواب الرزق مفتّحة ، ولكن لمن أحكم زمام الهوى ، ووزن الأمور بميزان عقله ..

وللقلب في ميدان العلم والتعليم حكايا ..

فهو الذي يقودك لحب أستاذك ثمّ حب كل ما يقدم لك من علوم ومعارف .

وهو الذي يحبب لك أصحابك ، فتحلو بهم ساعات العلم ، وأيام الدرس .

وهو الذي ينهك جسدك في السهر والمطالعة والبحث إن عشقَ العلم وأحبّ الدرس .

وهو الذي يجشمك المصاعب ، فتجدها أشهى من الشهد ، وأصفى من الماء النمير الزلال ، حين يرسل جنود هواه فلا يستطيع العقل مجابهتها ..

القلب ..

له فعل السحر ، فهو الحاكم الذي لا يردّ أمره ، والسلطان النافذ رأيه .. يتحكم بالطالب والأستاذ في كل أمور الدرس .. بالحب تارة ، وبالبغض تارة ، بالفرح حينًا ، وبالحزن آخر ..

والأستاذ المبدع هو الذي يعرف كيف تنساب روحه إلى أرواح طلابه .. وكيف يصل قلوبهم ، فيخالط شغافها، ويتغلغل إلى سويدائها .

ما العلم الذي سيقدمه أستاذ منبوذ؟!

وما الفكر الذي ينقله معلم بغيض ؟!

وما التربية والقيم التي ستؤثر في طلابهم ؟!

وما فائدة ساعات تقضى لا طائل من ورائها ؟!

وما قيمة وظيفة محقت بركتها ؟!

ناهيك عن قبول العمل ما الله به عليم ،إن كان الإخلاص ليس طريقا يسير عليها قائد التعليم والتربية !

المعّلم ربّان السفينة...

وصانع جيل المستقبل ...

وحائك الطباع والعادات ...

العيون تتعلق به ..والقلوب تتأثر بفكره ونهجه ..وبين يديه نضع أمانة كل عقل استلمه ، فله فضل تهذيبه ، وعليه عار تشويهه ..

إضاءة ..

لا تجعل قلبك سيدك ، ولا تخذله ، وكن في ذلك بين بين ، فالقلب يشعر ويصدق ، والعقل يزن ويوجه.

لغتنا الجميلة..

للغتي أكتب .. وللغتي أبحث..

للغتي أتعلّم .. وللغتي أغرّد..

لغتي .. دماء قلبي ونبضاته .. هاجس فكري وتأملاته .. عشقي الأول والآخر.. همّي الظاهر والباطن .. أحتاج إليها لأروي عطشي في الهجير ، وأشبع سغبي حين يضنيني المسير ، فأسقي روحي بمائها النمير ..قد لا تحتاجني ففي أبنائها وعشاقها الخير الوفير .. لكن قلمي لا يرضى أن يرتكب في حقها تقصير !!

ومن خلال مسيري في ميادين تعليمها ، رأيت أن أساتذتها بحاجة إلى رسالة أهمس بها إليهم بكل الود والحب فأنا واحدة منهم :

إن تعليم العربية الفصحى في بلادنا هو واقع مرير ، واللوم عادة يوّجه لمن يعلم هذه اللغة قبل المناهج والطلاب ومع احترامنا لمهنة التعليم ، وللمخلصين ممن لا يتوانون في أداء واجبهم ، فإننا لا نغفل دور الأستاذ الحيوي والفاعل في تعليم لغته ، فنحن ننتظر منه أن يكون غيوراً عليها ، تتفجر عباراته ، وتنطق كلماته بحبه لهذه اللغة ، يتغنى بها ويأنس بتذوق جمالها .

لقد كثر البحث في سر إخفاقنا حتى الآن في تعليم العربية الفصحى لأبنائنا كما ينبغي ، فلم تفلح مدارسنا ومعاهدنا وجامعاتنا في إنشاء علاقة الود بين المتعلمين وهذه اللغة ، ولم تنجح في غرس حب القراءة في النشء منذ الصغر .. ولعل السبب في ذلك يرجع بعضه إلى اعتقاد الكثيرين منّا بأن في تعليم قواعد اللغة تعليماً للّغة ، وتفكيرنا في الأمر على هذا النحو كتفكير من يعلم قواعد العروض لينشئ شاعراً ، أو كتفكير من يحفظ صفحتين في قواعد قيادة السيارة ، ثم يظن أنه أصبح سائقاً ماهراً ، فإن اهتمامنا بتعليم

القواعد النحوية في مرحلة مبكرة من حياة الطفل ، جعلنا نظن أن مقياس إجادة اللغة هو البراعة في حفظ المصطلحات النحوية ، والتفنن فيها ..

كلّ هذه الأمور وأمثالها ، يرددها الطالب في سن مبكرة بلا وعي ، ثمّ ينساها عقب الفراغ من الامتحانات ، ولا يبقى في ذهنه منها إلا التندر على صعوبة اللغة العربية ، وما لاقاه في تعلمها من عنت ومشقة .. ونحن لسنا بهذا نحطّ من أهمية قواعد اللغة ، أو نقلل من قدرها في الوقوف على سرّ اللغة والتمكن منها ، ولكنّا نحذر من وضعها في المقام الأول ونسيان الفطرة التي جبل عليها الإنسان في تعلّم اللغة .. خذ مثلاً لغة التخاطب ، وانظر كيف يتعلمها الطفل ؟؟ إننا لا نشرح له أي قاعدة من قواعدها ، ولكن الذي يحدث أننا نتكلم والطفل يحاكي ويقلّد حتى إذا أخطأ لم يجد من حوله يشرحون له قاعدة ، وإنما يكَررون الصواب أمامه .. وهكذا ، وبهذه الطريقة وحدها يلم الطفل بتراكيب اللغة ومعانيها ، حفظاً وفهماً ويقيس على ذلك ..

إذا كان هذا هو المنهج الفطري في تعليم اللغة فلماذا لا نفيد منه في تعليم العربية الفصحى ؟؟

حقّا إن العربية الفصحى لا يتكلمها الناس في كل وقت حول الطالب كما نتحدث بالعامية أمام الطفل .. ولكن هناك طريق آخر يقوم مقام السماع ، وهو طريق القراءة ، قراءة النصوص الأدبية القديمة وما نسج على نمطها في العصور المختلفة قراءة واعية صابرة ، مع حفظ الكثير والكثير جدا من النصوص الجيدة ..وعلى رأس هذه النصوص جميعها بالطبع نص القرآن العظيم ، والحديث النبوي ، ثمّ الأدب الرفيع شعره ونثره من العصر الجاهلي إلى العصر الحديث .. وفي هذه الحالة تتكون الملكة القادرة على محاكاة هذه النصوص ..

إن أستاذ اللغة العربية هو القدوة في تخاطبه بالفصحى فهي اللغة الأدبية الرفيعة التي لا تغني عنها اللهجات ، هي المزيج الذي جمع الرفيع من لهجات العرب لتظل هذه اللغة الأدبية هي الأسمى ، وقد شرفت بنزول القرآن الكريم بها ، وخلدت بخلوده ، فلا مناص من تعلمها وإتقانها ، وهي السبيل لوحدة الشعوب العربية تحت لواء لغة واحدة ، تضيق البعد الذي تخلقه اللهجات ، والفجوة التي تحدث بين العرب حينما يعوج لسان كل منهم بعاميته ..

ونحن حين نضع الحمل الثقيل على عاتق أساتذة اللغة العربية ، لا نخلّص رقاب بقية الأساتذة في مختلف التخصصات من هذه الأمانة ، فكلنا عرب ، وإننا عن ديننا ولغتنا لمسؤولون ، وإني لأضع اللغة جنباً إلى جنب مع التعليم والتربية في كافة الساعات الدراسية فالله الله يا أبناء يعرب في حفاظكم على لغتكم ..

إضاءة ..

بلاد العرب أوطاني من الشام لبغدان.

ومن نجد إلى يمنٍ إلى مصر فتطوان

وإذا كان لسان الضاد يجمعنا ، وهو مصدر عزنا وسؤددنا، فلعزه سنناضل ما حيينا .

الحوار الوطني

حين أصدر خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز -رحمه الله -إنشاء مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني عام ١٤٢٤هـ ، وقام بعده الملك عبدالله بن عبدالعزيز - رحمه الله - برعاية هذا المركز لنشر ثقافة الحوار في المجتمع السعودي ، كانت هناك رؤية واعية بأهمية الحوار على مستوى المواطن الفرد ، والأسرة ، والمجتمع ..

إن الحوار ثقافة نحتاج لنشرها في أوساطنا التعليمية التربوية ، وتعميقها من خلال نشر ثقافة الحوار الفكري الهادف ، ومراعاة الوسطية والاعتدال ، والبعد عن التطرف .

وحين بدأ العمل في مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني ، وتمّ تشكيل اللجان ، ووضع هيكلتها ، وانطلق المدربون والمدربات للتدريب على مهارات الحوار ، بعد تدريبهم لمدة ثلاثين ساعة وحصولهم على "مدرب معتمد لنشر ثقافة الحوار "نلت شرف الحصول على البرنامج والاعتماد للتدريب ، ثمّ انطلقت للميدان حاملة على عاتقي نشر هذه الثقافة .. لم أشعر برتابة العمل ، ولا مشقة ساعاته ، ولا صعوبة التكليف به ، بل على العكس من ذلك إنه من أمتع الدورات التدريبية التي أقدمها ، وكل مرة أقدم البرنامج أجد سعادة غامرة في نهايته ، وفرحاً بمخرجاته ..

والشيء الأجمل من ذاك كله .. أن الحوارَ غيرني ، فلم أعد تلك المحاورة التي تنتصر لرأيها دوماً ، فشعار البرنامج قول الشافعي: (رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب)، وكثيراً ما تأملتها وقلت في نفسي :

ما أجمل أن يكون انتصار الحق هو هدفنا لا انتصار ذواتنا . الحوار علمني أن أعرض رأيي وعلى الآخر قبوله ، وله حرية رفضه ، فالحوار عرض فكرك لا إجبار الآخر بالاقتناع به ، والانصياع له .

الحوار علمني أني لن أكون محاورة جيدة، ما لم أكن منصتة جيدة ، فعلينا جميعاً احترام الآخر ، والحرص على اكتساب مهارة الإنصات ، وما أجمل مقررات لغتي حين قررت تدريس مهارة الاستماع كإحدى المهارات الأربع للغة العربية إضافة لـ (القراءة والكتابة والتحدث) !! لقد كانت الثقافة القديمة أنّ التحدث من أهم المهارات ، فحرصنا على خلق المتحدث الجيد ، دون الاهتمام بالمنصت الجيد ، حتى غدت مجالسنا ، عند العامة والمثقفين ورجالات الفكر تراشق بنبل الكلمات ، وأين أين المستمع ؟؟

الحوار علمني الموضوعية والبعد عن الذاتية ، فلا بدّ أن نفرّق بين الرأي وصاحبه ، وننحي المشاعر والأحاسيس عن طاولة الفكر في كثير من أمور حياتنا .

الحوار علمني أنّ الانصياع للحق غاية ، ومهما تكبر أهل الباطل ، وعاند المعاندون ، وساروا في طريق الجدل هم في قرارة أنفسهم معترفون بالحق ،وسوف يؤوبون له يوماً ، فلا يغرك صلفهم ، ويكفيك اتباعه لقول المصطفى صلى الله عليه وسلّم :(أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحا، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه.) سند أبي داوود ، وحسنه الألباني.

وبثاقب نظرته صلى الله عليه وسلّم كم في ترك المراء من إغلاق لأبواب الشر وتأليف القلوب !!

الحوار علمني أن تأخذ الحكمة من طفل ، وأن تتقبل الآخر ، وأن تصغي للجميع ، وأن تترك الأنا ، وأن تحقق مبدأ الأخوة الجميل .

الحوار علمني السمو بالنفس ، حين تترفع عن الترهات ، وتترك الخوض في القيل والقال فالكلمة لها موضع يجب أن تخرج فيه ، ولها مواضع يجب أن تبقى وتمنع من الخروج ، فلا تقدم النصح لمن لم يطلب رأيك ومشورتك ، ولا تتدخل فيما لا يعنيك ، ولا تكن عبد لسانك تطلقه متى شاء ، وكيف شاء .

الحوار علمني كيف أقتطع من وقتي جزءاً لأطفالي ، فهم أشد الناس حاجة للحوار ، ولعلّ الضياع الذي نلمسه في كثير من الأسر هو بسبب غياب ثقافة الحوار الأسري ، فالأم لها وجهتان غالباً إمّا سيدة مجتمع تقضي وقتها بين عملها وواجباتها الاجتماعية ، أو ربة منزل سائر يومها تدبر أمور منزلها ، وفي المساء تتفرغ للخروج والسهر والسمر .. وفي كلا الحالتين لا تجد من الأمهات من تخصص وقتها لأبنائها تستمع لهمومهم ومشاكلهم وتعيش أحلامهم ، وتشاركهم أمور حياتهم إلا في القليل النادر .. ويمضي العمر ، وقد أعطينا كلّ ذي حق حقه إلا أولادنا ، وإنا عنهم لمسؤولون ..

حين يغيب الحوار الأسري تلمس ذلك في شخصية الأطفال ، فتجدهم ضعفاء أمام مواجهة المجتمع ومشاكل الحياة ، أو فاقدي الثقة بأنفسهم ، أو عندهم عنف يفرغون به طاقتهم السلبية التي يعانون منها لنقص الحنان والاهتمام .

ونأتي لبيت القصيد الحوار على مقاعد الدراسة ، إن كانت الأسرة المؤسسة الأولى لتنشئة جيل المستقبل ، فالمدرسة والمسجد يشاركانها مهامها ، والأستاذ هو المربي الأول في اعتقادي ، فهو يقدر على تغيير ما عجز الوالدان عن تغييره ، فكم من سلوك غيره أستاذ فاضل ، وكم من قيمة غرسها أستاذ فاضل !!

إنّ الطالب ليرهف سمعه ساعات طوال لمعلمه ، قد لا يتأتى للوالدين هذا الإصغاء ، فعلى المعلم أن يستثمر هذا الإصغاء بما فيه نفعهم ، فيوجههم ، ويحاورهم ، يلامس عقولهم ليعلم أي مستوى من التفكير وصلوا إليه ، فيستطيع التغيير والتأثير ..

قد يكون التأثير غاية الكثيرين ، فكم منّا يتمنى أن يكون مؤثراً !

لأنه إن استطاع التأثير ، وصل لكثير من غاياته ، فكان على التغيير أقدر ، وهذّب السلوك ، وشحن العقول بمعارفه ، واستثمر أنشطة طلابه ، بل إنه ليصل مرتبة الدعاة في غرس القيم ، والدعوة إلى فضائل الأمور .. كل ذلك لا يصل إليه المعلم إلا إذا امتلك أدوات الحوار ، والمحاور الجيّد يعرف فنون القول فينتقل بطلابه من الموعظة إلى القصة إلى المثل والشاهد المؤثر ، فحينا يأتي بطرفة ، وحينا قد يهدّد ويتوعّد ، وكل فنون القول هذه

لا تأتي هبة على طبق من ذهب ، بل هي بحاجة إلى سعة ثقافة ، واطلاع ، وسرعة بديهة ، ولين جانب ، وحلم ، وصبر ، لأنك تجد من المحاوَرين المتجاهل ، والمعاند ، والمتكبر ، والجادّ ، والهازل ، والراغب ، والمعرض .... وصنوف البشر كثيرة ، وكلّ منهم عليك أن تحاوره بالأسلوب المناسب لطبيعته كي تكسبه .

قد لا تحتاج كسب قلوب جميع من تقابلهم في الحياة ، أو في مجلس عابر ، ولكن أرى أن كسب قلوب الطلاب غاية كي أكسب عقولهم ، وأشكلها ، أغرس فيها ما أشاء ، وإلا أفنيت الساعات بلا طائل وبلا هدف ، وأضعت كل ماتعبت في تعلمه لسنوات طوال ، حيث لن يستفيد منه أحد ، ولن يقبل على بضاعتي أحد ..

الحوار منهج ، وأسلوب حياة ، ولنا في حوارات المصطفى صلى الله عليه وسلّم أكبر مثال ، فقد كان يحاور البدوي فيضرب له المثل بالناقة ، ويحاور الشاب الذي يرغب بالزنا فيخاطب قلبه قبل عقله ، ويحاور المرأة والرجل والكهل والطفل ، فيستخدم صنوف القول ليكون الثمرة اقتناع بغير إقناع ..

إنه وسيلة للتعارف ..

إنه وسيلة للتعايش ..

إنه طريق يرسم لنا الفرق بين الخلاف والاختلاف .

وهو باب لاستمالة القلوب بحسن القول والحكمة .

إضاءة ..

مخاطبة العقول والقلوب فن .. والأستاذ الجيد هو من يتقن هذا الفن ، بابتسامته وسحر قوله ،(إن من البيان لسحرا)

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم

يروق لي كثيراً هذا البيت :

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم   فطالما استعبد الإنسانَ إحسانُ

الفراسة من سمات العربي ..

وقراءة الوجوه من الذكاءات..

والوجه صفحة تعبر عمّا يعتمل في الداخل ..

ليس الجميع عنده القدرة العجيبة والاستكناه للبشر ..

ولكن غالباً تشعر بالارتياح لشخص منذ اللقاء الأول ، والعكس وارد ، لأن صلاح الباطن يرتسم على الملامح ، فيعبر عنه الناس بالراحة النفسية ..

الشخص الذي يستعبد القلوب هو إنسان له سمات يعرفها جميع الناس ، ولكنهم لا يستطيعونها ..

فالابتسامة بريد المحبة ..

والسلام رسول المودة ..

وذكر محاسن المرء يجعل قلبه يهفو إليك ..

والتقليل من شأن عيوبه يرفع مستوى ثقته بنفسه ..

كي تكسب القلوب :

اجعل قلبك نقيّا لا يحمل حقداً ولا حسداً.

اقنع بما أعطاك الله تسعَد وتسعِد غيرك .

لا تنظر لِما في أيدي الناس فالرزاق كما رزقهم رزقك ، وهو عدل لا يظلم أحداً.

افرح بالبلاء ، فما أصابك هو علامة اصطفاء من الله ، وأشد الناس بلاء الأنبياء ، ثم الصالحون .

حين يهبك الله قلباً راضياً ، وصدراً من الأدناس خالياً ، وفكراً راقياً سوف تستعبد القلوب ، لأنك ستمضي وأنت تعلم أنك في رحلة ، ومغادرتك قريبة مهما طالت ..

وهذه السمات أحسبها من سمات المعلّم ، فهو يعلّم الناس الخير ، وامتهن مهنة الرسل ، فكيف يعلّم الخُلُق إن كان بلا خُلُق ؟ وكيف يربي الجيل القادم إن لم يبدأ بتهذيب نفسه ؟ وكيف يكون قدوة وليس فيه من سمات القدوة شيء ؟ !

إضاءة ..

لقد نسيت مع الأيام الكثير من المعلومات التي ذكرها أساتذتي ، ولكني ما زلت أذكر منهم جيداً صاحب الخلق الذي وضع بصمته ، وعلّمنا طريق الحق ، وكان قدوة بسلوكه قبل أقواله ، ومنهم وعلى رأسهم أستاذتي، فقد استعبدت قلبي بسلوكها وعلمها وخلقها وصلاح باطنها ، وكانت نعم الأستاذة بحق !!

إنه لجهاد !

استيقظت في ذلك الصباح المطير ، خرجت من منزلي لأهرول لعملي في السابعة والنصف لأجد الظلام يلف ثوبه الأرجاء ..

ركبت السيارة وانطلقت ، ولم يكن مقرّ عملي بالبعيد ، كم كانت طويلة تلك الدقائق المحملة بأصوات الرعد ، ووميض البرق !! شعرت بالأرض تتزلزل تحت أقدامي ، كانت نوبة ذعر لم أعهدها من قبل ، تخيلت الشمس لن تشرق في ذلك اليوم !

سبحان الله ! ساعة غرقت فيها المدينة ، وهرع الجميع إلى منازلهم بقلوب راجفة يرجون رحمة الله .. رباه للضعفاء والمساكين ! غرقت الأحياء ، وتساقطت الأبنية المتهالكة ، وذهب الفيضان بالماشية ، ارتعشت أطراف الحزانى ممن لا مأوى لهم ، وغادر البعض منازلهم يحدوهم الأمل وتنتابهم نوبات الحنين لتلك الغرف البالية التي كانت بالأمس قصوراً تلمّ شعثهم ..

أمنية واحدة تمنيتها وأنا في منتصف الطريق ، أكاد أغرق بين طوفان ورعد وبرق ، ، أن أكون في هذه اللحظة في بيتي ، وألا أموت في الشارع بين هذه الجموع !! ولم يهدأ روعي إلا حين احتسبت خروجي جهاداً في سبيل الله ! إننا نخرج كل يوم إلى مدارسنا ومعاهدنا وجامعاتنا وقد يفوت الكثير منّا احتساب الثواب وتقديم النية الحسنة بخروجه ، وإننا والله في جهاد عظيم ..

فما خرجنا إلا ونوايانا تعليم بنات المسلمين..

وما خرجنا إلا لتهذيبهن وغرس القيم ..

إننا نحتسب أن نكون قدوة في طلب العلم ..

وقدوة في حسن السلوك والخلق .

أخذنا على عاتقنا أمانة اللغة والدين ..

وسرنا على طريق أداء الأمانة بكل عزم ..أقلامنا مشرعة في نشر الحق ودحر الضلال .

وأوراقنا ترسم صور الفكر الهادف البناء .

نقضي الساعات الطوال في بيوتنا نعمل ونخطط .

نكدح رغم كل الصعوبات ونتجاوز المعوقات ..

لأجل وطن قدّم لنا الكثير ، وينتظر منا الكثير ..

كل أستاذ في مضمار جهاد يومي ..

فهو يقدّم من أعصابه وجسده وروحه ..

يتعامل مع صنوف من الطلاب منهم الجدّ المتميز الموهوب ، ومنهم المتخاذل الكسول .

ويتعامل مع أنواع الزملاء ، منهم من تألفه روحه ، ومنهم من يضيق ذرعاً بتعامله معه !

ويتعامل مع صنوف الإدارات ، وربما تكون إدارته (ديكتاتورية) لا تحترم الرأي الآخر ، شعارها فرض الرأي والسيطرة ، و (لا رأي إلا ما أرى) وقد تكون إدارة (تقليدية) لا تؤمن بالتجديد والتغيير ، ولا تجيد التعامل مع كل مجدد، شعارها الكم وليس الكيف ..

ويتعامل مع مقررات تطرح كتجارب قد تصيب وقد تخيب، وضحية التجربة هي عقول طلابه ، فمرة هي زخم من الأنشطة تفتقر للمادة العلمية ، ومرة مادة علمية هائلة تضيق عنها ساعات الدرس ، وفق خطة غير مدروسة لما يتناسب مع احتياجات الطالب ومرحلته العمرية .

ويتعامل مع بيئة مدرسية فيها من الأعاجيب ما الله به عليم ،فالفصول تضيق بالأعداد المتراصة ، والمرافق المدرسية تعاني فقراً مدقعاً فلا ساحات ولا معامل ولا حدائق ، ولا أماكن للترفيه ،ولا إنترنت ومكتبة مناسبة للمرحلة ،كلّ ذلك ويطالب بالتعامل مع المقرر وفق منهجية حديثة تخضع للتجربة والقياس ،وفي معامل مجهزة ،وبيئة مناسبة ..

ومن خلال تجربتي لعقدين من الزمان معلمة في الفصول ومع الطالبات ، ومشرفة في الميدان ، تنقلت وفحصت ودققت ، أقول بصدق إن الأستاذ الجيّد وهو في مضمار جهاده ، ورغم كل العقبات ، يبدع ويستمتع ومخرجاته تفوق الوصف ، فقد كنت أزور المدرسة لا بيئة صفية مشجعة ، ولا حوافز للمعلم ، ولا إدارة تربت على كتفه ، فأجد من تميز الطالبات ، وإبداع المعلمة ، وتطورها بحيث تواكب كل جديد ، ما يجلّ عن الوصف ..ليس وراء هذا إلا الإخلاص ومراقبة الله ، وحب العمل والتخصص ، فتجد بركات ذلك في حياتها وصحتها ، وذريتها ، ورزقها ، وساعات يومها ..

وعلى النقيض قد أزور بعض المدارس الأهلية أو الحكومية المجهزة بكافة التجهيزات ، والبيئة الجاذبة للتعلم ، ولا ألمس تميزاً في مخرجات المعلمة ومستوى طالباتها ، والسرّ تخاذلها وعدم مراقبتها الله في عطائها ، وعدم استشعارها المسؤولية !!

(أعطني معلماً جيداً ولو تحت شجرة) و (أعطني معلما أعطك أمة) .. بيدك أيها المعلم صنع أمة ، فهل تفرّط في هذا المجد والثواب ؟ وهل يأتيك الجهاد بكل سبله وتأبى ؟!

إضاءة ..

كثيراً ما سمعت أناسًا يسألون الله الشهادة ،وأكثر من ذلك سمعت أساتذة وتربويين يسألون الله ألا يختم لهم وهم مازالو في سلك التعليم ، علموا وجهلوا !!

استثمروا مشاعر طلابكم ..

حين يعزف القلب لحن الحب ، ويقود الفكر والعقل ، فيهمس القلب للعقل قائلاً :

إن هذا الأستاذ دون سواه الأقوى علماً .

إنه الأستاذ الأوسع قلباً.

إنه الأصدق نفسا ..

والأدمث خلقًا ..

والأشدّ تقى..

وحين يعتاد الطالب صدق قلبه ، سيقوده هذا القلب لحب الأستاذ ، ومادته ، وعطائه ، وواجباته ،وساعات درسه، وامتحاناته ..

لكن ، حين تلمس أيها الأستاذ تعلق القلوب بك لا تنس أن دورك التربوي قد حان ، ستصبح كلماتك منار الهدى ،ومفتاح المغاليق ، ونور الدرب .. لا تنس أنك اليوم أصبحت قدوة بسلوكك ، بزيّك ، بعاداتك ،بعبادتك، بتورعك ، بعلمك ..

فلو كنت من أهل القراءة أصبح أحبتك قرّاء ..

ولو كنت من أهل الصلاح والتقى أصبحوا أتقياءً ..

ولو كنت من أهل الحق والصدق اعتدلوا على طريقهما وعلى النقيض من ذلك :

أي خطأ يصدر منك سيرونه مباحًا وجائزا فعله .

لأن العين تتعلق بمن تحب ، فيحبب لها كل ما يفعله وكل مايسلكه ويصدر عنه ..

أخوتي الأساتذة حيت تجلس هذه الأرواح لكم وتسلمكم عقولها ، فأنتم في نعم الله ترفلون، فتحت لكم أبواب الأجور ، وشرعت لكم طرق الجنان ، وحففتكم الملائكة ، فبين أيديكم :

- يتيم فقد الحنان ، وعانى قسوة الزمان ، فالله الله بأجل صفات الله الرحمن الرحيم ، استثمروا في هؤلاء وكونوا بهم رحماء رفقاء ، ولهم أمهات أو آباء !

- معنّف رزقه الله جهل والدين ، وقسوة أبوين ، وهل ننكر أن بعض القلوب لا تعرف للرحمة سبيلا ؟فيعاني بعض الطلاب حياة أسرية قاسية، وتكون المدرسة أو الجامعة هي المحضن الذي ينتزعه من براثن الألم.

- مدلّل اعتاد أن يأخذ ولا يعطي ، ابتلي بأهل علموه اللامسؤولية ، فازداد حجم الأنا عنده ، ولم يعد يبالي بالآخرين ، فهو يغتبط بالثناء ،ويسعد بالتملك ، كم يحتاج لمعلم يعلمه قيمة مشاركة الآخرين ، ومعنى العطاء ، وروعة احتواء الغير ، والثواب العظيم الذي يجنيه من يمشي مع أخ في حاجته !!

- ذكي متميز يحب العلم ، عنده من المواهب والمهارات الذهنية والعلمية ، يضيق ذرعاً بسطحية التعلم ويملّ التكرار ، متعطش لكل جديد ، متشوق للانخراط في كل نشاط ، فما أروع الأستاذ المبدع عند هذا الطالب ! وما أثقل التقليدي على فؤاده !

- كسول يعشق الراحة والدعة ، كل طموحه تلبية رغباته الجسدية من نوم وطعام وحديث ولهو وسمر ، لم يرسم له على طريق الحياة هدفاً ولا غاية ، ما أحوجه للشدة حيناً ، والنصح حيناً ، والأخذ بيده لطريق المجد ،كي لا تضيع حياته سدى ..

إضاءة ..

أيها الأساتذة أمامكم من البشر صنوف ، وأنتم القادرون دون غيركم على تشكيل العقول ، وتوجيهها ، وإضاءتها بضياء الحق ونور الهداية ، فاستثمروا مشاعر طلابكم .

فراق القاعات

غادرتُ القاعات .

بزفرات وعبرات ..

وقلب يحكي كلمات ..

في هذا اليوم قاموسي تضاءل .

شحيحة كلماتي ..

ذاوية عباراتي ..

قلبي ينزف ..

وحنيني لا يكف ..

ولا شيء يعبّر ويصف ..

قلمي .. محبرتي .. أوراتي ..

لكم اليوم فكري المكلوم ..

وقلبي الموجوع ..

وروحي التائهة ..

خلف أيامي الذاهبة ..

أقسى الألم ، وأعمق الجراح ، وأصعب الحنين ، يكون لحظة فراق من تحب ..

إنها لحظات تشخص فيها الأبصار ، وتزداد الخفقات ، ويتوه الفكر ، وتسبح الخيالات .. يصبح كل شيء مجهولاً .. لا تدري هل ستكون مع الموتى أم مع الأحياء ، وهل ستقوى المسير أم تخذلك قدماك ؟!

لا تدري هل ستعود للأيام نكهة ، وهل سيصبح للوجود معنى ، وهل ستسير القافلة كما كانت أم تقف ؟!

هل ستصبح كلمة سعادة إحدى مفردات قاموسك ؟

وهل سيدخل الفرح إلى حياتك ؟!

ستكثر التساؤلات ، ولن تجد إجابة لها .. لأنه مصير مجهول !!

فكيف سيكون الحال حين تفارق أستاذاً وقاعة وكتباً وساعات درس هي روحك ،وريّ عطشك ، وغذاء قلبك ، وسعادة دهرك .. وقائد كل هذه السعادة هبة السماء التي لن يكررها الزمان مرة أخرى !!

إضاءة ..

ما أكثر ذهولك يا قلمي من مقدار هذه المشاعر ! وما أكثر تساؤلاتك !!

أنت جندي لقلبي وروحي ، وخادم لعقلي وفكري .. فعليك أن تدوّن ، وتستجيب لا أكثر ..

تعلمت وأيقنت ..

على مقاعد الدراسة تعلّمت الكثير ..

تعلّمت أكثر من العلوم والمعارف والمهارات ..

تعلّمت ما سيرسم لي فكرا خلاقا مبدعا .

تعلّمت أن العلمَ قمة لا تصلها دون عقبات .

تعلّمت أن الصبر ضرورة في كثير من محطات الحياة .

تعلّمت أن أعطي بلا حدود، وألا أنتظر المقابل .

تعلّمت أن أمنح جزءا من نفسي وأعصابي لمن يستحق .

تعلّمت أن البعض يستحق أن تعطيه روحك غير آسف ..

وأن البعض لا يستحق من وقتك دقيقة تضيعها معه ..

تعلّمت وأيقنت ..

أيقنت أن الكثير غير قابل للتغيير، وهذه سنة كونية أن نتغاير في الطباع والسلوك.

وأيقنت أن لوحة الخير الزاهية ، تقابلها لوحة الشر المعتمة ، وعلينا تقبل جميع الأصناف وإن لم تعجبنا فلا بد أن نستوعب وجودها ولا نصدم وننهار !!

و حين أيقنت أن البشر صنوف ، وجدت أني من صنف مختلف .

ولكن غربة الفكر مرة قاسية ، تحتاج أن نتعايش مع هذه النماذج التي نستشعر مرارتها..

يقين يمازج فكري ، ويخالط ذراته ، ندرة الحس والشعور ، وغياب القيم والثوابت ، هو ما نعاني منه ..والمؤلم حين يكون عمالقة العلم والفكر بلا قلب وشعور ، حتماً سيتم فصل توأمين بمبضع جراح ،ويصبحان غريبين بعد أن كانا شقيقين (التعليم والتربية) .

إضاءة ..

وفي كل زاوية مظلمة لابدّ أن تجد بصيص أمل ! .

الإلقاء فن وعلم

النفوس الجميلة تهوى الجمال ، وتتعطش للجمال ، ولا تقع أعينها إلا على كل جميل ..

والكلمة الجميلة تأسر العقول والقلوب ..

وأداؤها بصوت عذب يفعل مالا يدركه إلاّ من جرّب .

إن الطالب يجلس للعلم ساعات طوال ، وغالباً حين يعتمد التعلّم على أسلوب المحاضرة والتلقين ، أو تفرض بعض المواد الطريقة الإلقائية، بعيداً عن التجربة والقياس والمعامل ، فإنّ الطالب يملّ ويشعر بالضيق .

فهو ملزم بالجلوس على مقعده ، وتقبل سيل المعلومات ما بين أستاذ يغادر ، وأستاذ يقدم .. وكما تقول الدراسات الحديثة فإن العقل البشري قدرته على التركيز لا تتجاوز العشرين دقيقة ، بعدها يبدأ العقل بالشرود لضعف التركيز فلا بدّ من فاصل ، إمّا بمشاهدة عرض مرئي ،أو نشاط حركي ، أو سماع مقطع .... إلخ

وقد يغني عن ذلك الطريقة التي تلقى بها المعلومات ، فالأستاذ الجيّد الذي يتقن فنّ الإلقاء ، عنده القدرة على الحديث لساعات مع الجذب المستمر لطلابه دون أن يملّوا ، أو يسافروا في أحلام اليقظة .

إنّ الإلقاء الجيّد فنّ من الفنون الجميلة ، والتي يتميز بها الأستاذ المبدع ، وهي غاية يرومها الخطيب ، والمحاضر ، والمعلم ، وكل مشتغل بصناعة الكلام وفنون الحديث ..

كي تكون ملقياً جيداً عليك التحكم والتلاعب بطبقات صوتك، و(التنغيم) في اللغة العربية بابٌ كبير يجب علينا تطبيقه ، فحين ترسم نبرات صوتك أساليب حديثك سيتفاعل معك المستمع ، وحين تكون صفحة وجهك مسرحاً لرسم الحدث الحزين والمفرح والمدهش والغاضب ، سيحلق معك الطلاب في كل وادٍ تأخذهم إليه .

كي تتميز في إلقائك لمادتك العلمية أعدّ مسبقاً بعض القصص التي تدعم موضوعك ، والشواهد الشعرية ، والنصوص القيمة من الكتاب والسنة ، والأمثال ،كي تخرج الطالب من الملل ، وتصل به مرحلة الإقناع ، وبفنّك تخيّر لها المكان المناسب لتوردها على طلابك منهلاً عذباً يثلج صدورهم ، ويشوقهم للاستزادة من موضوعك .

كي لا تكون في عداد النسخ المكرورة التي ملّها الطلّاب ، لا تهذّ النصوص هذًّا، استعذب معانيها وهي تمرّ من حنجرتك إلى شفتيك ، دعها تخرج للأثير كموسيقى عذبة تداعب القلوب قبل الأسماع ،فما يخرج من القلب يصل إلى القلب ، وما يخرج من اللسان لا يجاوز الآذان !!

الإلقاء ليس صوتاً وطبقة وتعابير وجه، وأفكاراً تنقلها إلى الآخرين ، فما تلقيه من علم وتختار له أجمل الثياب وتزينه بحلي القول ، يحتاج منك أن يكون سلوكاً تحتذيه .. فما أصعب أن يعلّم الشريعة وأصول الدين معلّم لا ينتظم في سلوكه وفق شرع الله في أبسط أمور الحياة ، فلا يصدق قولاً ، ولا يفي وعداً ، ولا يراعي أمانةً ، فمهما تشدق بألوان المقالات الجميلة لن تحدث أثراً . فأنت قدوة بفعلك قبل قولك!

وما أقبح أن يعلّم النحو والصرف ، وقواعد اللغة العربية ، وبلاغتها ، وإنشاءها معلم لا يستطيع إقامة جملة سليمة ، أو نظم عبارة أنيقة ، أو إلقاء كلمة مؤثرة في محفل !! وكأني به استطاع النظرية وعجز عن التطبيق ، فهو كمن يملك قماشا فاخراً ، وخيوطاً غالية الثمن ، وليس بمقدوره حياكة ثوب، أو من يملك أجمل عدة بناء، ولم يستطع أن يبني منها قصراً !.

دع عنك عشقًا سقيماً لا محلّ له

من يعشق النحو لا يرضى الخطا فيه

في كل مناحي الحياة ، ما تنادي به وتعتنقه ولا تطبقه يجعلك أضحوكة القوم ، وفكاهة الزمان ..

الإلقاء بإيجاز :

ابتسامتك البريد الذي يفتح القلوب بلا عناء ، وصوتك العذب الذي وهبه الله لك كما وهب للماء صوت الخرير الجذاب ، وللطيور تغريدها الأخاذ ، وللأشجار حفيفها الحالم ،فأطلق نغماتك عبر الأثير ملوّنة مؤثرة ، ذات جرس يفتح القلوب بصدقه وعفويته وسمو غاياته .

كي تكون مؤثرا كن صادق القول وصادق الشعور .

لامس القلوب و العقول .

اشعر بالآخرين قبل أن تعلمهم .

احمل جزءاً من همومهم على كتفيك ، كي يحملوك في قلوبهم .

وإن ابتعدت عن قلوبهم تأكد أنك لن تصل إلى عقولهم للأبد ..

إضاءة ..

كي تكون ملقيا جيدا : تدرب .. تدرب .. تدرب ، فكل مهارة يمكننا الوصول إليها بالممارسة والتدريب .

إكسير الحياة

ما أجمل أن تتنفس هواء الحب ، وترتوي بمائه !

ما الإنسان لولا الحب إلا قالب ثلجي ؟

جسد ودم وروح يغذيها الحب ..

إنها كلمة صغيرة ، حرفان رسماً ، ثلاثة لفظاً ، ولكنها في القاموس العربي تعني: (الخجل والعيب ، والحرام والعار والشنار ، من جاهليتنا الجهلاء ، إلى عصر الانفجار المعرفي اليوم) .

هم لا يعرفون الحب لذلك حاربوه ، هم لا يفهمون منه إلا علاقة مشبوهة لذلك اتهموه ، لا تحلق أرواحهم الطاهرة في جنباته لذبك نبذوه .. ولا عجب يا أبناء الصحراء !!

لست أعجب من جهلكم بالحب ، وقد نشأتم نشأة خشنة فلقبتم بأهل الوبر والمدر كناية عن خشونتكم أيها العرب الخلص !!

لكني أعجب ممن ترعرعوا في رحاب القرآن ، وتغلغل في سويداء قلوبهم ، فجاء هذا الدين لينتزعهم من جفاء وقسوة الجاهلية فيغمس قلوبهم في معين الحب والرحمة واللين والرقة !!هؤلاء هم العرب قبل وبعد الإسلام .. كانوا وصاروا لو أرادوا !

أبناء يعرب .. الحب هو إكسير الحياة ، نتنفس هواءه ، ونرتوي بمائه ، ولكن : ماذا لو وقف خطيب يخطب في موضوع الحب ؟ أو وقفت معلمة تعلم طالباتها معنى الحب ؟ أو تحدث متحدث في مجتمع القوم عن الحب ؟

حتمًا سيتهمون بالبله والجنون ، ويلاقون الازدراء ..

مازال مجتمعنا يضع ستاراً بينه وبين الحب ، وكأنه تلك الحبة المخدرة التي تذهب بنا للهاوية !.

نسينا يا أخوتي المسلمين بأنّا تعلمنا حب الله منذ الطفولة ، وحب الله أعظم حب في الوجود . ثمّ أحببنا نبينا محمد صلى الله عليه وسلّم أيما حب ، وتعلقنا به دون أن نراه .

ثمّ بالفطرة أحببنا وجهين صبوحين رسما لنا درب الحياة الشاق ، بلوحة زاهية الألوان ،ومازلنا نسير بجانبهما نتلمس الأمان في كل محطات الحياة!

ويزداد رصيدنا من الحب حين نخرج خارج الأسرة لنحب الأصدقاء ، والجيران ، والأقرباء ، ويتسع ليشمل المؤمنين جميعاً لنبلغ درجة المؤمن الحق .

وتسير الحياة ليبني الزوج والزوجة عشهما من أغصان الحب القوية التي لا تستطيعها الأعاصير ، لذلك عبّر عن هذا الحب خالقنا الذي يعلم وحده تركيبة البشرية بالمودة وهي أعلى درجات الحب .

ثمّ يأتي ذلك الحب الذي لا يماثله حب :

وإنمـــا أولادنـــا بيننـــــا   أكبادنا تمشي على الأرض .

إذا ما هبت الريح على بعضهم   امتنعت عيني عن الغمض .

كيف لا ؟

وحبهم يجري مع الدماء ، ويغذي العروق ، وهم نبض القلب وسعادته !

أطلت التأمل في معنى الحب ، وشعرت بالسعادة لأني أحب الوجود بأسره ، وأحب ذاتي لأجعل منها نفسا:

قادرة على حب الآخرين ..

ملأ الله قلوبكم بالحب ..

وجعل أيامكم عامرة بحبه ..

هل سيذوب الجليد ، ويروي بمائه القلوب الجامدة لينبت فيها زهور الحب ؟!!

إضاءة ..

حين نفتح نافذة الحب لنطلّ منها على كل ما نتعلم ، فنتعلّم بحب ، ونعلّم بحب ، ونحب معلمينا ، ونحب طلابنا حتماً سينجح التعليم ، ولن يحتاج لدراسة سبل تطويره والنهوض به .

وماذا عن الامتحان ؟!

تنقضي لحظات العمر سراعاً.. وتتهادى الأوقات لغير عودة ..

نغذّ السير ، ونسرع الخطا ، نحمل في حقائبنا أقلاماً ووريقات ، وأقراصاً مضغوطة ، وكتيبات ، نرسم للعلم طريقاً فسيحة ، وتمر الأيام وتذوب الذكريات ، ويبقى أكثرها سطوعاً في شاشة الذاكرة لحظات الامتحانات !

ماذا عن الامتحان ؟!

يومٌ جدّ ثقيل ، حلم النفوس انقضاؤه.

مصيرٌ مخيف ، غاية القلب انتهاؤه .

ساعات تتمدد وكأنها تشعرنا باستحالة الرحيلِ ..

وأوقات تذبل فيها العيون ، وتضني الجسد العليلِ..

وداعٌ للنوم .. وفراقٌ للخلان ..

كدحٌ وسهرٌ ، تستحيل فيها لخيال إنسان !

أمّا المجِدّ ، فيذوق الويلات ، ويذرف العبرات ، خشية النهايات ، فكم بنى من الآمال ! والأحلام الطوال ! وبذل الجهد الجهيد ، فلا يرضيه رقمٌ زهيد ..

وهيهات هيهات أن يكون الجميع على نفس الشاكلة ، فقد تجد من الطلاب من يذوق أيام الامتحانات طعوم الراحة ، فمن تلفاز إلى جوال ، لا تزيد ساعات درسه عن تصفح بين الوريقات وتجوال ، أعطى نفسه هواها ، وبذل لها مبتغاها .. فلم يكن من أهل الهمّة ولم يطمح يوماً لوصول القمّة .. والخاتمة خيبة وخسران ، وعار للأهل وخذلان ..

نحاول في التعليم أن نهوّن من شأن الامتحان ، وأن نزيل رهبة الأرقام ، ونبدّد خشية الفشل ، وقد نتجاوز في كثير من المواد الامتحانات إلى عملية التقويم المستمر ، وعمل المشاريع ، والمشاركة في الأنشطة ، للحكم على الطالب ، والحق أن للامتحانات رهبة ليست بسيطة عند الكثير من الطلاب ، باختلاف الطموحات والأهداف ، إلا أن الامتحان هو المحك الأكبر للحكم على ما وصل إليه الطالب من علوم ومعارف ومهارات ، ودرجة إتقانه لها ..

ولكن حين نتحدث عن الامتحان لا بدّ أن يكون للأستاذ الدور الأكبر ، والموقف الأعظم ، في المخرجات ، والمستوى ، والأمن النفسي ، والشعور بالرضا عند الطلاّب .

فالمعلم المبدع هو من أمضى العام الدراسي وفق خطة محكمة ، أعطى فيها الكم المناسب دون زيادة أو نقصان .

درّب طلابه على الأسلوب المتبع في الامتحانات ، ونوعية الأسئلة التي يطرحها بين مقالية وموضوعية ، ومعاييره في التقييم ، راعى الأمانة والعدالة بين طلابه ، واستطاع أن يغرس فيهم من القيم والمبادئ ما يفوق الوصف ، فهو قدوة بسلوكه قبل أقواله (انضباطه في مواعيد الدرس – قوة مادته العلمية – سعة أفقه – سرعة بديهته – صبره عليهم – حزمه ولينه – حبه لطلابه) كل هذه الأمور تثمر مع الأيام نتاجًا علمياً وجيلاً مشرقاً كما نأمل، فالقلب يقود العقل .

إضاءة ..

فقط حين تحب الأستاذ حباً عميقاً حقيقياً لا تخشى الامتحانات ، لأنك تعلم يقيناً أنه يخاف عليك أكثر من خوفك على نفسك ، ويرسم مستقبلك بحب .

شيبّتني صعود المنابر..

خشية اللحن والوقوع في الخطأ اللغوي كان هاجس القدامى ،فحين يقول عبدالملك بن مروان وهو من هو في الفصاحة في عصر من عصور قوة اللغة وألقها : (شيبني صعود المنابر وخشية اللحن) نتصاغر نحن أمام ما نراه من ضعف في لغتنا على ألسنة أبنائها !!

إن كانوا يخشون صعود المنابر ، ويعدّون لذلك العدّة ، ويهابون عرض فكرهم على الجماهير ، فما ذلك إلا إجلالاً للغتهم التي اعتادوا جريانها على الألسنة بمنتقى الألفاظ ،وصحيح العبارات ، وعذب الكلم ، كانت الفصاحة فخرهم ، والبلاغة مصدر عزهم ، فإذا نبغ الشاعر في القبيلة أتت القبائل الأخرى فهنأتها ، وصنعت الأطعمة ، واجتمع النساء ، ودق الطبول ، ولا عجب في ذلك، فالعرب أمة تعشق لغتها وهي مصدر عزتها ، لذلك حينما بعث فيها النبي محمد صلى الله عليه وسلم كانت البلاغة معجزته من جنس ما برعوا فيه ..

ولكن العجب ما نراه اليوم حين يتفاخر العرب في براعتهم بعلوم الطب والطبيعة ، والعلوم الكونية ، وقد نسي هؤلاء أن اللغة العربية معجزتهم ، وهي العلم الذي يبرعون فيه ، وإنا لنجد أن علماءنا القدامى حريصون كل الحرص على تعلّم اللغة وإتقانها فتجد عالم الشريعة وأصول الدين عالماً بالنحو ، وعالم الفلك وعالم الطبيعة وعالم الطب كلّ منهم له في علم النحو وعلوم اللغة باع طويل .

والحق أن العالم لا بدّ أن يكون ملماً بلغته كي يكتب بأسلوب واضح رشيق ، وهذا الشيء لا يخفى على أحد ، فنحن اليوم في سلك التعليم من مراحله الابتدائية إلى الجامعية نجد أن معلم اللغة العربية الحاذق للغة ، موضع اهتمام من الجميع ، فالكل يهرع إليه في كل محفل ونشاط ، ليكتب الكلمات ، ويدبج العبارات ، ويصوغ الخطابات ، بل يصل الأمر لأن يكلّف بإلقائها أحياناً نيابة عن الرؤساء والمسؤولين ..

وإنه لباب شرف لكل من حذق العربية أن يكتب ، ويصوب ، ويصوغ ، ويلقي ، بل باب أجر وثواب عظيم حين يتقدم الصفوف ليهون الخطب على من يرى في وقوفه أمام الجماهير خطبا ، وينصر لغته حين يحرص على صحتها وسلامتها ، وحين يستشعر الآخرين عذوبتها على لسانه ..

وهو باب نقص أيضاً حينما نجد كل جهبذ وعالم في تخصصه لا يمكنه أن يصوغ مقالة بسيطة ، ليبرز فيها فكرته بأسلوب جميل ، سليم نحوياً وصرفياً وإملائياً ، فضلاً عن أن يأتي المدير أو رئيس القسم ،أو من في مستواهم لأحد معلميه ليستنجد به في كتابة أو إلقاء !!

استهنتم بأمرها، فتأبّت عليكم !!

فإليكم يا خطباء المساجد والمحافل ..

ويا أساتذة الجامعات والكليات ..

ويا معلمي التعليم في كافة التخصصات ..

ويا طلبة العلم ومعاشر العلماء ..

لن تستقيم علومكم ، دون أن تزدان لغتكم على ألسنتكم ، ودون أن تزرعوا في جيلكم القادم أهمية درس اللغة ، وتحببوا لهم تعلّم اللغة ..

إنّ أبناءنا اليوم لا يعرفون من لغتهم إلا مقررات "لغتي " التي تعاني من ضحالة وفقر في جانبين هامين :

- قواعد اللغة العربية - الأدب العربي .

فالطالب ينهي المرحلة الثانوية ، وهو لم يتقن قواعد لغته ، وربما الكثير منها لم يمر به ، ولم يطلع عليه ، ولا يعلم من الأدب إلا الفتات ، فهو مابين العصر الجاهلي والعصر

الحديث قد لا يعرف أكثر من امرئ القيس ، وأحمد شوقي ، إن كتب له القدر معرفتهما ..

فإذا كانت المقررات تعاني فقراً علمياً ، فأين دورنا قادة الفكر ، وقواد التربية ؟ وأين دور المثقفين من الآباء والأمهات ؟!

إني حين أتأمل في واقعنا أجد الكثير من الأسر فيها أب أو أم، معلم مُربٍ فاضل ، لا يعرف من التربية إلا ترفيه أبنائه بصنوف الطعام والشراب ، والألعاب ، وأخذهم إلى أماكن اللعب والملاهي ، إن جاد وقته ، وإن لم يجد اشترى لهم ركاماً من الألعاب الإلكترونية ، التي تدل على كرم اليد تعويضاً عن كرم وجوده معهم .. وكل ذلك يَخلِق جيلاً فارغاً من همّ العلم ، وتحمل المسؤولية ، ضائعاً بلا هوية ، لا يستطيع أن يرسم لنفسه أهدافاً ، ولا أن يكوِّن لنفسه رؤيةً لمستقبله !.

لماذا تشيب رؤوسهم لصعود المنابر ؟ ونحن لا نلقي لذلك بالاً ؟! بل يقول مسلمة بن عبدالملك : (كنّا نرى اللحن في الكلام أقبح من الجُدري في الوجه) !

ليتك يا مسلمة- رحمك الله – عشت لزماننا لترى الوجوه المجدورة ، والألسن الموبوءة ، والتي تتشدق بلغات غيرها ، ولو سألتها عن معنى مفردة من مفردات القرآن كانت قاصمة الظهر ... والأدهى من ذلك حين تجد أهل الفكر يشرِّقون ويغرِّبون بأبنائهم لتعلم الإنجليزية ، والحذق فيها - وما أجمل تعلمها فنحن لا ننكره ! - لو كان بعد حذَق أبنائهم للغتهم الأم ..

الله الله يا أبناء العربية بوعاء القرآن ، وهويتكم وسرّ مجدكم لا تخذلوها ! فكم عزّ أقوام بعزّ لغات !.

إضاءة..

لئن شيبتك صعود المنابر يا عبد الملك منذ ألف عام ويزيد .. فقد أدمت قلوبنا قلة من يرقون المنابر ، ويرتادون المحافل !!

حدثوني عن الفراق..

حين تفارق قلبا تحبه..

فتتصفح وجوه العابرين تبحث عنه ..

وتقرأ قسمات المارين آملا لقياه ..

تغدو حياتك مريرة ..

وخزات الفراق مؤلمة ..

وألحان البعد شجيّة ..

دثروني .. زملوني .. حين تنظمون عبارات الفراق وبها تحدثوني ..

إنها خفقات قلب قاسية .

وموجات آلام عاتية ..

إنها أيام مريرة لا تمرّ ساعاتها ودقائقها ..

وشهور طويلة لا تنقضي تفاصيلها ..

كل الزهور حولي تصبح بلا رائحة..

وكل المياه بلا مذاق..

وكل الأنغام صاخبة ..

وكل البلابل واجمة..

الحياة حين يبتعد من تحب تخلع لونها الورديّ ، لترتدي رداءها الرماديّ..

وحين تحب أستاذك ، فهذا هو أعظم حب في الحياة ، لأنه الحب الوحيد الذي قادته لقلبك دوافع عظمة إنسان ، فأنت لم تحبه إلا لأنه جماع لصفات القدوة العظيمة ، وهذا الحب الخالد في ثنايا قلبك ، يخالط شغافه ، ويمازج دماءه ، ويجري في روحك مادامت سارية ..

حين أحببت أستاذتي علمت أنها ليست من أصناف البشر ، بل هي روح ملائكية عجيبة ..

غروب وشروق يرسمان روعتها ..

ومياه وأنهار يحاكيان صفاءها ..

الطبيعة تصورها أصدق تصوير ..

لا أجدها بين أطياف البشر ..

بل هي دوماً ترتسم في ضوء القمر الشاعري ..

وتعبق في حدائق الزهر الورديّ ..

وترسل عباراتها كخرير الماء النقي ..

وحفيف الأشجار الشجيّ ..

هي حقيقة ، ولكنها تشبه الخيال ..

هي واقع ، ولكنه يشبه الأحلام ..

أن تفارق أستاذاً رسم لك درب العلم الجميل بكل حب ، علمك بحب ، ورافقك بحب ، ووقف معك بحب ، فأنت تفارق الحياة قبل فراقه ..

وأن تبتعد عنه ليصبح ذكرى .. لا تجمعك به إلا الطيوف والخيالات فأنت تودّع ربيع حياتك ..

أي ريح طيبة تحمل لي نسماتها ؟!

أي عبق أنتشي فيه ذكرياتها ؟!

أي قلب يخفق بها لا ينساها ؟!

أي إنسانة ملأت مكان الجميع ؟!

أي إخلاص نسج لها هذا الشعور ؟!

إضاءة ..

أستاذتي كنت وما زلت الإضاءة الوحيدة في مسيرتي العلمية غير القابلة للانطفاء ..

يوميات طالب متميز

المتميز طموح النفس ، متقد الذهن ، بعيد النظر ، مرهف الحس ، لا يشغل ذهنه إلا ذرا المجد ، وهامات السؤدد ، ولا تتوق نفسه إلا لحدائق العلم ، وأرفف الكتب ..

التميز العلمي سلّم صعب ، لذلك لا يرتقيه إلا من فتح الله على قلبه بأنواره الرحمانية ، وسخّر وقته وجهده لطلب العلم ، وكان الدرس رغبة نفسه ، وهوى قلبه ، فلا يجد في ملذات الحياة ما يساوي تصفح الكتب ، ومطالعتها ، وزيارة المكتبات وتفقدها ، والتنقل بين البحوث والمجلدات ، وإدمان شبكات المعلومات ..

الطالب المتميز تعاف نفسه الأستاذ الضعيف ..

وتضيق روحه بإضاعة الحصص والمحاضرات ..

ويكره التقولب وفق المقرر المحدد له ..

الطالب المتميز يعشق أستاذه المتميز ..

ويسعد كلما طالت ساعات الدرس ..

ويحلق فكره مع كلّ فكرة جديدة ..

ويبحث جاهداً عن المحاورات والمناقشات ..

أعظم الكنوز لديه أن تهديه كتاباً أو بحثاً ..

وأجلّ الساعات عنده أن يسمع بعقد درس أو حلقة ..

وأروع العطايا أن يهتدي لاسم عالم أو كتاب جديد ..

الطالب المتميز .. يخطط ، ويرسم بدقة ، وينفذ ، ثمّ يصل لمبتغاه ..

فيومه مشغول ساعات للدرس ، وساعات للاطلاع ، وساعات للبحث ، وسويعات للترويح وأمور النفس ..

لا وقت عنده للهو والعبث ، ولا فراغ في جدوله .

فهو يقسّم دروسه وفق الأسبوع لمطالعتها ، ويحدد أوقاتاً لواجباته ، وأوقاتاً للحفظ والتركيز ، وأوقاتاً للمراجعة ..

لا تمر المادة معه مرور الكرام ، بل يتصفحها ، وينتقدها نقد الجواهرجيّ ليميز المفيد منها ، مما لا فائدة فيه ، ويعرف غثها وسمينها ، حتى يخرج بما يبقى معه للأبد من هذا العلم ..

الطالب المتميز يؤله أن تسند المادة لأستاذ ذي علمية متوسطة أو غير مبالٍ بساعات الدرس ، لأنه يخشى فوات العلم حتى لو حصل على الدرجة النهائية ، فغايته العلم والمعرفة قبل الدرجة ..

الطالب المتميز يسعد بتميز مكتبة جامعته أو مدرسته واحتوائها على كافة الخدمات البحثية ، لأنه يعتبر وجوده في صرحه العلمي كنز أوقات لا يعوض ، وفرصاً لا تعود .

الطالب المتميز حين يسأله زملاؤه في المقررات تحلق روحه سعادة ، فهم قد يفتحون له أفقًا مغلقًا ، وقد يهدونه فكرة لم تكن في قاموس بحثه ، وهو بالتأكيد أبعد الناس عن الحسد في العلم لأن زكاة العلم نشره ، ولن يطيب علم ويثمر ما لم تحاول نشره، وإفادة زملائك وأصحابك ، ومعاونتهم فيما أشكل عليهم أمره .

الطالب المتميز يدخل صرحه العلمي مبتسماً باشاً سعيداً ، يلقي التحية ، ويحتوي الجميع ، فهو نموذج للتواضع ، وهي من أخص صفات أهل العلم ، يقدر أساتذته على

اختلاف مشاربهم ومستوياتهم وطباعهم ، لأن أهل العلم يقدرون من يعلمهم ، ويحفظون حقه ، فلا ينتقص من أحدهم ، ويصبر إن آذوه ، ويحلم إن أغضبوه ، ويتجاوز إن ظلموه ، لأنه يعلم أن فضل العلم أسمى من صغائر النفوس ، وأن الله لا يضيع أجر مجتهد أبداً ، وأن الإحسان جزاؤه الإحسان.

الطالب المتميز بكل ما يحيط به من عقبات ، وكل مايعاني من آلام ، وكل الضغوط التي تعتصر نفسه ، يحتسب الثواب عند الله ، فهو في سبيل الله لأنه أخلص نيته لطلب العلم ، وإحقاق الحق ، ثمّ قدّم هذا وسام شرف لوالديه ، فمن برّ الوالدين أن يكون الطالب متميزاً يخلّد ذكرهما ، ويهديهما ثواب علمه ، ويجازي تعبهما معه في صغره .. فنعم الابن الصالح البارّ من اجتهد وكافح لرضا الله ، ثم رضا والديه !!

إضاءة ..

مات في ذاكراتي الكثير ممن علموني وبقي :

(أكثرهم علمًا – وأوسعهم قلباً – وأدمثهم خلقا – وأشدهم تقى – وأصدقهم مع الله .... مثل أستاذتي الحبيبة) القلب لا يسجّل في صفحته إلا ذوي القلوب ...

لغة الأرقام

الأرقام هواجس فكر لبني البشر ، بدءاً بالرصيد المالي ، وعدد الأولاد ، وكماليات الحياة ، ومروراً بعدد الشهادات ، وساعات التدريب ، والدورات ، واللجان ، والمؤتمرات .. وغير ذلك ، ركام من أرقام تعبث بخيالاتنا كل آنٍ وحين ..

وربما أشدها مرارة وصعوبة هو الرقم الذي يمثل ساعات عمرك من الميلاد للحظة الحالية ، ولعل المرأة أشد الناس دقة في حساب عمرها ، بحيث شغلها عدّ السنوات ، وخطوط التجاعيد ، وهوس التجميل ، والظهور بمظهر الفتاه الصغيرة ، عن الهدف الأسمى لحياتها ، فبات المظهر شاغلاً عن الجوهر ، ولم تعد تفكر ماذا أنجزت في هذا العمر ؟ وماذا سطرت في هذه الأيام ؟ وماذا ستقدم فيما كتب لها من أيام قادمة ؟؟.

حين تشغلنا لغة الأرقام ، وتصبح هاجسنا ، لا بدّ أن تقودنا هذه الأرقام إلى المعالي ، ولا بدّ أن ترتبط بغاية وجودنا ، ولا تكون دلالة على سطحية تفكيرنا ، فجميل أن نقف مع أنفسنا دائماً ونتساءل :

- كم كتاباً قرأت في هذا الشهر ؟ وفي هذا العام ؟
- كم ساعة في يومي أنفقتها فيما يرضي الله ؟
- كم شخصاً وقفت معه في ملمة أو نائبة ؟ وقضيت له حاجة ؟
- كم جزءاً أحفظ من كتاب الله ؟ وكم آية حولتها لسلوك عملي في حياتي ؟
- وكم ذات الفوائد القيمة تطول ، حين يكون هناك من يدرك أهمية محاسبة النفس ، والوقوف عند غاياتها والسمو بها ...

حياتنا قصيرة ، ماهي إلا أيام معدودات، وإن كنّا نفكر بلغة الأرقام فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول : (أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين ، وأقلهم من يجوز ذلك) فإن

كان هذا العمر يمضي ثلثه في مرحلة الطفولة وعدم الإدراك الجيد لقيمة الأوقات ، ويمضي ثلثه الأخير في مرحلة كبر السن ومعاناة الألم والأمراض ، فالثلث الأوسط الذي هو المرحلة الذهبية في حياة الإنسان قد لا يتجاوز العشرين عاماً ، فالعاقل من يجند جنده ، ويعد عدته للانتفاع بهذه الأيام ، فيقضي أوقات شبابه ما بين حلق العلم والدرس والتأليف ، وإن كان عنها راغباً لا يعدم القراءة ، فليكن له ورد يومي من قراءة كتاب الله ، وقراءة النافع من الكتب التي تبعث فيه الهمة والعزيمة للسعي والعمل ، وفي كلٍ وضع الله سراً ، وجعل مهارة ، فالذكي من يتأمل مهاراته ويصقلها ويطورها لينتفع بها في حياته وبعد مماته ،وتعود على بنيه وذويه بالخير ، ليخلّف وراءه دعوات لا تنقطع ..

البعض يهبه الله إبداع القلم والفكر ، فلا يحرم نفسه من ميراث علم ينتفع به.
و البعض يهبه الله الفنون الجميلة من رسم أو حياكة أو أشغال يدوية قد يصنع منها العجب العجاب الذي يخلّد اسمه على مدى الأزمان . والبعض يهبه فعل الخيرات ، ويحبب الله لنفسه رعاية بني جنسه بصدقة أو كفالة أو أوقاف ، وإنها لأجمل الأرقام التي يسجلها المرء في حياته ..
والبعض تعجب من لسانه الذي لا يتوقف عن ذكر الله فيسجل ملايين الأرقام في ساعات يومه . إنها والله لأجمل من ملايين مالٍ يبددها ورثته بعده ، فقد قدّم ملايينه أمامه ركاماً من الحسنات ، نسأل الله من فضله .

الأرقام شيء عجيب ، وسعادة أو شقاء ... فماذا سجلت في حياتك ؟ أي نوع من الأرقام ؟!

إضاءة ...

كلمة واحدة يكررها أستاذ على مسامع طلابه قد تحفزهم لباب خير طوال حياتهم ، وتدوّن في ميزانه كما دوّنت في موازينهم ، فلترسم لهم خطواتهم أرقاماً خالدة .

نحنُ والتخطيط..

سائرون في فلك من التخطيط ..

أعمارنا وأيامنا .. حياتنا وموتنا كتبها القدر .. ليل ونهار يتعاقبان ..

صيف وشتاء .. خريف وربيع ... لا تدوم على حال ..

عباداتنا مخططة بنظام من صلاة في خمسة أوقات ، لصيام شهر بعينه ، وحج في وقت محدد ..

إذا تلفتنا .. .. وتأملنّا .. علمنا يقيناً أنّ كل شيء في حياتنا لا يسير إلا بنظام دقيق محكم ..

التخطيط سنة كونية . وحكمة إلهية ، وهو طريق المبدعين الناجحين ، ولا يحيد عنه إلا المفرطون ، والذين يجررون أذيال الخيبة في الختام ..

لا ينجح عمل دون تخطيط ... ولا يتفوق مجدّ دون تخطيط .. ولا تسير حياة سليمة دون تخطيط ..

وكلّما كانت الأهداف سامية ، والغايات عظيمة ، وجدت من يحسن رسم خطتها بدقة ، ويجهد في التخطيط لها ..

من ألوان التدمير والغزو الفكري أن بات جيل اليوم يستعذب السهر والسمر ، ينتظر إجازة العام ، ليقضيها على أرصفة الشوارع إلى شروق الشمس ، ثم يمضي نهاره نائماً ليحيي ليله حياة بائسة !!

ثلة من الآباء والأمهات هم من قادة الفكر والتربية ، ولكن من منهم يخطط لإجازة أبنائه ، ويرسم لهم أوقاتاً مثمرة تعود عليهم بالنفع في دنياهم وأخراهم ؟!

القليل القليل.. تعودنا ضياع الأوقات ونسينا أنه محق لبركة أعمارنا ، وسؤال ينتظرنا : عن عمره فيم أفناه ؟!

صرنا نموذجاً لجيل قادم زرعنا فيه الفوضوية والعشوائية ..

لأنا لا نحسن سياسة التخطيط .. ولم نحرك في دواخلنا القائد الذي يقود من حوله بفكره وسلوكه ، قبل أن يقوده مجتمع يسير في طريق الهاوية .



"الفشل في التخطيط تخطيط للفشل" آلان لاكين .

و"هدف بلا خطة لا يزيد عن كونه أمنية" أنطوان دوسانت .

الإعلام والفصحى !.

إلى من ينطق بالضاد فيشعر برونقها على الشفاه ..

إلى من أحسّ لذة البيان ، وسحر الكلمات الجميلة ..

إلى من ذاق حلاوة الفصحى .. وسهر الليالي يترنم بشعرها ونثرها ..

إلى من يقرأ كتاب الله فيهزه هذا الكتاب العظيم ويخالط شغاف قلبه ..

لكل عربي مازالت عروبته تسري في دمه ..

ما هو مستقبل اللغة العربية ؟؟

إنّ مستقبل اللغة العربية يتوقف على مستقبل فكرنا ، هل هذا الفكر يتأمل ، ويبدع ، ويؤلف ، ويقرأ بعين ناقدة ، ويعرّب ، ويطوّر لغته ؟! أم أنه فكر توقف عن المسير ليهوي في قرار سحيق ؟!

إنّا نقف أمام غصن أخضر رطيب ، ولكنه ينتظر منا أن نتعهده بالسقيا ليورق ويزهر ، ويؤتي ثماره يانعة .. فما هو الدور الذي يقوم به الإعلام لرعاية فصحانا ؟

إن وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة لينوء كاهلها بثقل عظيم ، وحمل جسيم في رعاية لغتنا وإحيائها .

فليكن هذا الإعلام موجِّهاً الا موجَّهاً ، يأخذ بيد الجمهور لما فيه نفعه ، ويسير بالأمة العربية لما يوحد صفوفها ويجمع كلمتها .. لا متملقاً للعواطف ، يسير خلف الأهواء !

لابدّ أن تتعطش أرواحنا إلى التعمق في لغتنا ..

لابدّ أن تحنّ ألسنتنا لاستقامتها ..

وأن تكون السليقة المفقودة مرادنا !!

وترسم أحلامنا طريقاً لمستقبل عذب .

اللغة تحيا في قلبك أيها العربي ، وعلى شفتيك ، وعلى صفحات أوراقك التي يبوح بها يراعك ..

أمامك حقل فاستنبت منه الأزهار .. ولتظل حياة اللغة رهن خيالك ..

إلامَ نحجب عن أعيننا نور الشمس ، فننادي بالعودة إلى اللغة السليمة ، والأيدي مكتوفة ؟ والألسنة معقودة ؟! إنّ من يشعر بالغيرة على لغته- ويحمل همها في زمن قلّ وندر من يفاخر بعربيتنا على لسانه ويتشدق بغيرها من اللغات – يجعل غيرته سلوكاً وتطبيقاً قبل أن تكون شعارات تردد ، ويشرع قلمه ولسانه للدفاع عنها ، إن الإعلام ليشجع العاميات في الكثير من برامجه ، والثقافية منها أحياناً ، ويصفق للشعر النبطي ،والشعبي ، بينما يندر أن نسمع فيه برامج تحيي الشعر الفصيح ، وما كان يعرض قديمّا من مسلسلات تاريخية وأدبية بالفصحى توارت ، أو غربت شمسها ، وإن بقي منها إطلالات خجلى ..

حين تبعد الشقة بيننا العرب ، وكل قطر عربي يكتب بلهجته ، ويتحدث بلهجته ، وإعلامه بلهجته ، سيفتّ عضدنا ونفترق من شامنا إلى يمننا ومغربنا ، لا رابط يجمعنا، ولا وحدة لصفنا .. الدين واللغة ثوابتنا ، وهدم لغتنا هو طريق العدا لهدم ديننا ..

وقديماً كان العرب – كما نعلم – يتخاطبون بلهجاتهم ، ولكنهم حين يجتمعون في المحافل ، والأسواق ، والحج ، وينظمون شعرهم وخطبهم يلتزمون اللغة الأدبية ، لغة قريش التي قويت شوكتها وأصبحت لها السيادة وما زالت – حين كتب القرآن بقاءها فنزل أكثره بها – وإن كان كتاب الله تأليفاً لقلوب العرب قد وردت فيه أكثر من خمسين لغة (لهجة) فصيحة كما ذكر اللغويون .

فلماذا نعزف اليوم عن اللغة الأدبية في خطاباتنا ، فإذا رغب الطالب الجامعي، أو الأستاذ ، أو الطبيب أن يصوغ عبارة جاءته غصة اللغة ، ولم يستطع بضعة أسطر ؟ نحن من باعدنا بين اللغة المحكية والمكتوبة فشعرنا بثقل الكتابة لأنّا لم نميز بين الفصيح والأفصح ، والدارج والعامي ، فالألفاظ مثل الناس مراتب ، ومنازل ، وكل لفظ له مقامه المناسب ..

وما زلت بخبرتي التي تفوق عقدين من الزمان مع لغتي قراءة وثقافة وتدريساً وتوجيهاً ، أشعر أن الإعلام قادر على أن يعيد للغة الأدبية مجدها ، فالإعلام يصنع الأمة ، ويقود الفكر ..

لنشمر عن سواعدنا ، لتبقى فصحانا خالدةً بعزة ومجد ، فالله كتب لها الخلود ، ونحن بإذنه سنكتب لها السؤدد .

إضاءة ..

ماذا أقول يا رباه حين أقف بين يديك وتسألني عن لغتك التي حملت أمانتها على عاتقي ؟!

حملٌ ثقيل جليل !!

في كل محنة منحة ..

خلق الله النفوس تهوى الفرح ، وجبلها تبحث عن السعادة ، الإنسان يسعى ويسخّر كل ما حولهُ ليسعد ..

المال وسيلة للسعادة والاكتفاء ..

والأهل والبنون هم تاج سعادته ..

يلهث وراء الكماليات لتسعده ..

كثيراً ما وقفت مع قصيدة (**الطين**) لإيليا أبي ماضي بتأمل وإعجاب حين يقول :

نسي الطين ساعة أنه طين   حقير فصال تيها وعربدْ

وكسا الخز جسمه فتباهى   وحوى المال كيسه فتمرد

يا أخي لا تمل بوجهك عني   ما أنا فحمة ولا أنت فرقد

فيضع مفارقاته بين الغني والفقير ، فالأصل واحد هو الطين .

وإن اختلفت أسباب السعادة ، فلا تظن أيها الغني أن الحرير الذي يكسوك ، والمال الذي يملأ كيسك ، هي أسباب سعادة فتتمرد، فالفقير عنده من أسباب السعادة ويساوي سعادتها بما تقتني ...

إنها حقيقة تقررها عدالة من وزع الأرزاق ، فهذا رزقه في المال ، وذاك رزقه في الأولاد ، وذلك رزقه في المنصب .. وكلٌ أعطاه الله ما يتبلغ به في الحياة ويعيش في طمأنينة لتتهيأ له سبل العبادة والقيام بواجب خلافته في الأرض ..

البعض يرى أن الحزن والدموع وتكالب الدنيا هي أسباب الشقاء ، وقد لا يعلم أن هذه طرق تفتح له أبواب الخير ، ففي كل محنة منحة ، ولكن الكيّس من يتعامل مع المحن ويخرج ما فيها من منح ويستثمرها ..

ممّا استدعى نظري في أحوال الناس أن البيئة التي ينتمي لها ذوو الدخل المتوسط ، الكثير من أبنائهم يتفوقون دراسياً ، بل يكونون من الموهوبين والمبدعين .. ولا عجب في ذلك فلم تلههم الأموال وملاهي الحياة ، وتشلّ تفكيرهم عن العلم والإبداع ، ولم يجدوا ما يشغلهم إلا طلب العلم ، وفي كثير من الأحايين حاجة الأهل تكون حافزاً للإبداع كي يخلق الابن لنفسه مصدر رزق ، ووظيفة متميزة تنتشل أهله من براثن الحياة القاسية ..

وعلى النقيض من ذلك ذوو الدخل المرتفع ،وأصحاب الثراء ، لا شاغل يشغل الأبناء إلا الترفيه والسهر ، والبحث عن طرق لصرف الأموال ، والاستمتاع بالحياة على الوجه الذي لا يليق بعاقل ، فالابن لا يهمه شق طريقه في الحياة ، فقد ولد في فمه ملعقة من ذهب ، وكل رغباته مجابة ، فما الحافز له ليجد ويجتهد ويتميز ؟!

وإن كان هذا الأغلب ، والأعمّ ، ولكل قاعدة شذوذ ، فالهداية والتوفيق والبصيرة في يد الخالق ..

وغاية الأمر هي محن الحياة ..حين تصيبك محنة من فقد ، أو محنة من فقر ، أو محنة من مرض ، فتذرف الدموع ، ويلتهب قلبك بلهيب الحزن ، ومرارة الأسى ، لا تجعل هذه المحنة قيد حياتك ، وعثرة حظك ، وتعيش أيامك يائسا نادبا ..

بل اجعلها سبيل انطلاقتك ، فكم دمعة خلفت أفراحاً ، وكم شهقة أعقبتها سعادة الدهر !!

البعض إيجابيون يجعلون الكوخ قصراً ، والشوك زهراً ، والليل فجراً ، لأنهم أرادوا فصاروا كما أرادوا ..

والبعض سلبيون مهما أعطتهم الحياة ، لا يرون إلا الزاوية السوداء في حياتهم لا يريدون الخروج للنور ، ولا يفتنهم جمال البستان الذي يرتعون فيه ، يرون الفراشة حشرة ، وبقعة

الماء مستنقعا .. دوما يرون الظلام، فلا تفتنهم النجوم والقمر ، ويمرّ أمامهم الهواء العليل يخالونه رياحاً ..

أنت سيد أفكارك ، أنت من تصنع من الحياة ربيعاً ، وفجراً ، وعطراً ، وأملاً ، حين تجعل المحنة منحة ..

..**إضاءة**..

ألا انهض وسر في سبيل الحياة　　　فمن نام لم تنتظره الحياة

إلى النور فالنـــور عذب جميل　　　إلى النـــور فالنـــور ظل الإله

"الشابي"

عالم من التقنية !

أثناء رحلتي اليومية الماتعة إلى مدرسة تقبع في أحد الأحياء القديمة، أطلت التأمل في ذلك الحي القديم ، ومبانيه المتهالكة . وعرصاته التي تخلو إلا من رمال وكثبان تذكرني بديار قيس وليلى .. تأملت كل ما أراه لا يعدو أن يكون أطلالاً .

أغمضت عيني .. تواردت خواطري ، وتتابعت أحلامي .. عاد بي ركب الذكريات لطفولتي التي محتها الليالي ، وقضى عليها كرّ الجديدين .

لقد كانت أياماً جميلة تزينها البراءة والطهر ، لم تعبث بنا يد المدنية ، لم تطلنا يد التغيير الآثمة ، لم يكن مجتمعنا ينكر هذه الكلمات : (الجار ،القرِى ، الضيفان ،السمر والسهر ، قهوة الصباح ، الشارع ...)

كلمات شاء القدر الحاسوبي أن يمحوها ويقضي عليها ، وإن بقي منها باقية فهي في ظلاله ، وتنصهر في بوتقته ...

أصبح الحاسوب ، والصحن الفضائي ، والجهاز الذكي شغل الناس الشاغل ، فهم يفتحون أعينهم ويغمضونها على التقنية ، ليلهم ونهارهم ، عملهم وتسليتهم ، تتحكم فيها التقنية ..

لقد غرب من وجودهم التواصل إلا عبر التقنية ..

وأفل من سمائهم الاجتماع والسهر والسمر وتبادل الأحاديث ووصل الأقارب ، واستعاضوا عنها برسالة نصية هي أقصى وسائل الصلة !!

لكن ما الوجه السلبي الذي عادت به التقنية على مجتمعاتنا التي تعتز بعروبتها ، وأصبحت تحن لماضيها الجميل ؟؟

الجار لم يعد يعرف من هم جيرانه !

والأسرة في البيت الواحد كلٌ يكتفي بجهازه في غرفته ليقضي معه ساعات يومه !

الأقارب لم يعد يجمعهم لقاء شهري أو أسبوعي .. بل قد تمرّ السنوات لا يلتقون !

امّحت السعادة والابتسامة والحب وتآلف القلوب ، وحلّ بدلاً منها القلق ، والضيق ، والاكتئاب ، لأنّ هذه الشاشات أنستنا هويتنا الإسلامية العربية ..

ولم تستطع أن تسعدنا ، لأنّنا بها تنازلنا عن ثوابتنا ، وسقطت من قاموسنا ألفاظ بقيت رمزا لا تطبيق لها في واقع الحياة : أين الكرم ؟ أين المواساة ؟ أين أين صلة الرحم ، أين البرّ ؟ أين هو العربي الأصيل ؟!

التقنية عالم ملون بالجمال للقراءة والثقافة والتواصل والبحث والاطلاع وتبادل الفكر والعلم .. بها نستطيع أن نبلغ الآفاق ، ونحصل على مبتغانا في أسرع وقت ، ولكن كم من ملايين الأرقام من بني البشر يستخدم التقنية استخداماً إيجابياً ؟ ويسخرها لما فيه منفعة الأمة ، ويرتقي بنفسه ،ويصل بها ذويه؟!

أعتقد أنها - نسبة وتناسباً مع عدد مستخدمي الشبكة العنكبوتية وبرامج التواصل - ضئيلة جداً..

والكثير الكثير يسخر كل ما وهبه الله من نعم للترفيه فهو الهدف الأول ، ماله للترفيه ، وتقنيته للترفيه ، وسفره للترفيه ..

الخلل ليس في التقنية ، بل الخلل في إساءة استخدام كل ما نملك ..

نحتاج دائماً للتأمل ، والتفكير ، وإعادة النظر ، والسؤال الهامّ : ماذا أفعل ؟ وأين سأصل ؟ ولماذا أسير في هذا الطريق ؟ .. كلّها ستحدد غاياتك وعليك التقييم..

إضاءة ..

جيل يعظّم التقنية ، يحتاج لأستاذ موجّه كل يوم للاستخدام الأمثل لها ، هي موجودة شئنا أم أبينا في كل بيت ، فلماذا لا نوجههم للمسار الصحيح لاستخدامها ؟

في مكتبة والدي ..

يوماً ما كنت نبتة صغيرة تكبر في أحضانه يرعَاها بحنو وخوف ، يربت على قلبها الصغير ليشب عن الطوق ، يرسم أمام عينيها طريق المستقبل .. يحادثها ويحاورها ويرعاها بعينه تزهر وتتفتق عبيراً يملأ الأرجاء..

في أحضانه تعلمت الأمل والطموح ،وعرفت الخطأ والصواب ، نظراته كانت تقول لي : تقدمي أنت تسيرين في الطريق الصحيحة ، ليس كل التوجيه كلمات ، فأحياناً يكون أفعالاً وتصرفات ..

كبرت في ذلك البيت الجادّ ، كنت أخرج للشارع لألهو مع صويحباتي ، ثمّ أعود للبيت لأوراقي وأقلامي .. لم أرَ في بيتنا وأنا صغيرة شاشات ، ولا أسطوانات ، ولا أشرطة تسجيلات ..كل ما يمتعني في بيتنا هو مكتبة والدي ، كنت أمضي فيها الساعات أنتقل من بلد إلى بلد ، ومن عالم إلى عالم ، ومن أديب إلى أديب .. أشعر بمتعة لا تساويها متعة ... لم أتعلق في طفولتي بالدمى والألعاب ، ولا المنتزهات ، والتلفاز ، ولا الآخرين وأحاديثهم .. كل تعلقي كان بمكتبة والدي – رحمه الله – وأحاديثه ، كنت أسمع تجاربه في الحياة ، وأتعلم منها ، وحينما يغادر البيت أجري لمكتبته أقرأ ، قرأت كليلة ودمنة لابن المقفع في طفولتي ، قرأت كتاب التفاسير ، حفظت المعلقات ، وقرأت قصص الشعراء وخاصة الأدب الجاهلي الذي كان ومازال يروق لي – حيث يصور صفات العربي الأصيل - كنت أعشق تصفح دواوين المتنبي وأبي تمام والفرزدق وجرير ، ثم افتتنت بالأدب الحديث ، بدأت أحفظ قصائد أبي القاسم الشابي وإيليا أبي ماضي وشوقي وحافظ والبارودي وإبراهيم ناجي ... لم أترك عصراً إلا ولي فيه منتخبات أمضي معها ساعات من يومي ، وحينما أصبحت أدرك أهمية النحو وازداد عشقي للغة العربية ، بدأت أمضي بعض وقتي في قراءة فصول النحو؛ في مكتبة والدي ركن مهم للغة العربية ، حيث كان معلماً لها ، فوجدت شرح ابن عقيل ، والنحو الوافي ، وجامع الدروس

العربية ... وغيرها من كتب النحو ، فكنت أطلع وأفهم وأحفظ الشواهد دون ملل أو كلل ..

وتمرّ الأيام وأنتقل لمرحلة أخرى فوق الشعر والنحو ، ويظهر لي اهتمام بفنون النثر حباً عميقاً للمقالات والروايات ، وقد عشقت أدب المنفلوطي فلم أترك له كتاباً إلا وقرأته ، بل كنت أضع (النظرات) قرب سريري ، فأعيد قراءة مقالاته عشرات المرات استمتاعاً بالكلمة الجميلة ، والعبارة الساحرة ، ثمّ قرأت (العبرات) وبكيت ، وخلقت عندي أعظم الشعور ، وانتقلت لمترجماته من القصص (مجدولين، والشاعر، وبول وفرجيني ، وفي سبيل التاج) ولم أكتف به، بل عشقت كل الأدب الذي يسمو بالنفس ، ويعلمنا كيف يكون الإنسان ، وكيف يعيش ، وكيف يشعر بأخيه الإنسان ؟!

تنقلت بين طه حسين، والرافعي ، والعقاد ، وشكيب أرسلان ، وحيناً أعود للشعر مرة أخرى ما بين السيّاب، والبارودي، وسعد البواردي، والعشماوي، ونزار قباني وغيرهم كثر ..

وقد ازداد شغفي بالأدب بعد انتظامي في قسم اللغة العربية ، فانتقلت للأدب العالمي أقرأ لفكتور هيجو ، وشكسبير ، كنت أتنقل ما بين الرواية والمقالة بصورة لا توصف ، فلم أشعر بالملل ..

مكتبة والدي علمتني الكثير .. منها تعلمت :

- كي تربي أبناءك وطلابك تربية صحيحة لا بدّ أن تضع بين أيديهم أصنافاً وألواناً من الكتب ..
- لابدَ أن تحجب بصورة كبيرة- ولا نقول كاملة- وسائل الترفيه عنهم ، فالابن عندما يجد يومه مشغولاً بين الملاهي والأسواق ، والفضائيات ، والأجهزة حتمًا لن يقرأ .
- من الخطأ الكبير أن نجعل ثقافة أبنائنا مقصورة على ما يقدم لهم الإعلام ، فسوف نكون أمام جيل لا يعرف الصحابة وسيرهم ، ولا الشعراء والأدباء ، ولن يكون لديه أي مستوى ثقافي أو عناية بتراثنا العربي .

- لا بدّ من تنوع المقروء ، والموجود في مكتبة المنزل أو المدرسة ، ما بين كتب دينية ، وثقافية ، وأدبية ، وتاريخية ، وقصص ، حتى يجد الأبناء ما يلائم هواهم وفكرهم ، مع الاطلاع على أوسع نطاق من العلوم .

- غياب الحوار والتشجيع والتحفيز لن يخلق جيلاً واعياً مثقفاً ، فالكثير من الأهل مشغول بعمله ، وعلاقاته الاجتماعية واهتماماته ، وآخر ما يفكر فيه أن يجعل ساعة لحواره مع أبنائه وتوجيههم ، وسرد القصص التي تسمو بهم وتعلمهم في حياتهم .

- الوالدان المشغولان ، يعوضان ابتعادهما عن المنزل بتوفير كل وسائل الترفيه، وهذه مشكلة عظيمة، تخلق جيلاً اعتاد الأخذ والتملك، ليس عنده رغبة في تطوير ذاته والسعي لما فيه مصلحته، والأسوأ من ذلك فقد الحب والحنان الذي يجده من والديه .

- ديننا دين وسطية ، والوسطية في التربية مهمة جداً ، حزم في غير عنف ، ولين في غير ضعف ، إعطاء ومنع ، حوار وعطاء فكر ، ترفيه في حدود المعقول ، وتحمل للمسؤولية ، وبعد عن اللامبالاة.

- الإثم عظيم في تربية الأبناء – (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته) – عندما يكون الوالدان على قدر بسيط من العلم والمعرفة التربوية ، ولكن الإثم أعظم حين يكون الوالدان يعملان في التربية، ويفرطان في تربية أبنائهم ..

رحم الله والدي ، وأثقل موازينه بكل ما قرأت في مكتبته ، وبكل ما قرأت بعده ، فهو من وضع أقدامي على الطريق ، وعلى نهجه سرت .. كنت يا أبي الدليل ، وبك اقتدينا واهتدينا سواء السبيل ، جازاك عنا الجليل ، يا فقيد قلبي والخليل ..

إضاءة ..

العلم لا ينبت في مراتع الضلال ، ولا ينمو في تراب المعاصي .. فاحرصوا على غراسكم أيها الآباء والأساتذة ، واتخذوا لذلك سبله من صلاح النوايا ، وإصلاح البيئات .

حب الصديق وحب الأستاذ

الحب عند ابن القيم :

هو أن تهب كلك لمن تحب فلا يبقى منك شيئاً ..

الحب أن تقف أمام قاموسك اللغوي فتجده عاجزاً عن وصف مشاعرك وأحاسيسك ..

قد تلتقي أحدهم يوماً ، فتتقارب أرواحكما منذ اللقاء الأول ، وتوثق عرى هذا التآلف المواقف والأيام فتتمازج القلوب ، ويصبح أجمل أحلامك اللقاء ، وأقسى آلامك الفراق ..

لأن هذا الحبيب أصبح كعائلتك التي لا تقوى بعادهم !!

حين تحب صديقك فإنك تجد روحك تتعطش للقائه ، وتسعد بحديثه ، يشاركك مرّ الأيام ، ويستعذب معك حلوها ، حين تحزن تهرع إلى قلبه ، وحين تفرح لا تأمن على فرحك إلا في قلبه ..

هو مستودع سرّك ، ومكمن أحلامك التي قد لا تتحقق ، هذا الصديق حين تراه روحك توأماً لها ، وتزداد السنوات ، معها يصبح رصيد ثقتك به أكبر لأنه أثبت لك مع الأيام أن الصديق الصدوق ليس من عجائب الدنيا ، بل هو من حقائق الوجود ..

هذا الصديق أجمل علاقات الحياة ، لأن ما بينكما خلقته رحم الأيام ، وقد يكون أشدّ تآلفاً ، وأكثر حباً وصدقاً من أشقائك ..

وماذا لو كان هذا الصديق أستاذك ؟!

أي علاقة حب ستنسجها الأيام بينكما ؟!

حين يكون صديقك أستاذك ، فلهذه الصداقة مسبباتها :

إنها حتماً أرواح تلاقت ..

وحين تحب أستاذاً فأنت للعلم محب .

ولتخصصه عاشق ، وبه راغب .

فكركما تقارب ، وعقولكما تدانت .

ولن يحب الطالب أستاذاً إلا وقد رأى فيه موضع قدوة .

وهاله فرط طموحه وحبه للمجد والعلياء .

الأستاذ الذي يحبه طلابه أستاذ وقور .

أستاذ عظيم يراعي الحق والعدالة .

أستاذ فيه من السمات النفسية التي تميزه

(حلم وصبر ووقار وأناة و إخلاص وأمانة ..)

هنيئاً لكل أستاذ جمع بين العلم والخُلُق ما جعله قدوة تحتذى على مرّ الزمن ، فكم من طالب سيظل يذكره ، ويدعو له ، ويقتدي به ، فيصبح رسولاً من رسل الله في الأرض ، وخليفة حقق معنى الخلافة !!

إضاءة ..

لم أحبّ أستاذة في يومٍ ما إلا وكانت نسيج سمات خلقت هذا الحب (علم، ولغة ،ودين ،وخلق، وطموح، وفكر، وروح) ..

فحين يكون الأستاذ في صدارة قائمة الأصدقاء فاعلم أنها أسمى معاني الحب ، إنه ماء رقراق يجري بعذوبة لا تكدره مكدرات المشاعر البشرية ..

اسمٌ في جامعة ..

بريق الأسماء ليس ضرباً من الشهرة ، ورغبة في التميز ، بقدر ما هو صلاح بواطن أظهره الله ..

من امتهنوا مهنة تعليم الناس ، هم سادة بين البشر ، وكواكب في سماء المجد ، تسلحوا بألوان الأسلحة من علم وصبر وخلق ، ولكنهم أيضاً يتمايزون فيما بينهم ، وسرّ هذا التمايز يكمن في (جمال روح، شغفت بالعلم ، وازدانت بالخلق ، ورزقت الإخلاص)

لا أعتقد أن أستاذاً رزق هذه الأربع لم يتميز بين الخلق ، ويشار له بالبنان شاء أم أبى ..

فالروح الجميلة تأسر القلوب ، وحين ترتع في رياض العلم تسمو في علياء المجد ، وعندها يهبها الله الخلق الرفيع والإخلاص فقد قاربت حدّ الكمال .

في كل مدرسة ، وكل جامعة ، تسمع أسماء لامعة ، تتوق نفسك لرؤيتها ، فتقول : كم أتمنى أن أرى (إنسان) !! لأن من يعبث بقلوب البشر هو حتماً إنسان ، فيه من معاني الإنسانية ما يجعله يرتفع عن طين الأرض ، ليحلق في سماوات الرفعة والمجد ..

تخرجت بعد إنهاء مرحلة البكالوريوس في قسم اللغة العربية لأربع سنوات ، وبعد أعوام طويلة التحقت بالماجستير تخصص اللغويات ، درّسني في المرحلتين عشرات الأساتذة والأستاذات ، ولم يحتل القلب ، ويبقى في الذاكرة ، ويضع بصمته العلمية في ذهني إلا اسم واحد فقط ..

كانت إنسانة فيها من سمو العاطفة والإحساس ، ما تعجب من وجوده في حاضرنا المادي ، علّمت وتركت أثرًا لا يمحى ، جمعت العلم والخلق والإخلاص والشفافية ، أتمنى حينما يصفها قلمي أن يكون منصفاً ، ولا يغمطها حقها .. فالكلمات تقف أمامها حيرى..

كثيراً ما تأملتها وقلت :

حين تصلح باطنك ، يظهر الله للآخرين جمالاً يسرق الأنظار ، ويعبث بالقلوب .

إضاءة ..

أنتِ اسمٌ في جامعة وبصمة في الوجود .. إليك أهديت صفحات كتابي التي ترسم إيجابيتك ، وترسم لوحة علمك الذي يعبق بالياسمين ، ويشرق كنور الفجر الوليد فيصل قلبك بقلوب طالباتك ، ويسمو بعقولهن سمواً متلهفاً لا يتوقف ، بل يظل يلهث في حقل العلم .

الريشة الأنيقة ...

تكمن أناقة ريشتي في اختياراتها ، فهي لا ترسم إلا المبدعين الأفذاذ ، ومكمن إبداعها حين تصف المبدعين: دقة وصفها ، وجمال إخراجها الفنيّ ..

لقد عشقتك ريشتي ، فرسمت الكثير من لوحاتك التي خلدتها السويعات في الذاكرة..

ريشتي رسمت لوحات اللقاء ، ولوحات الفراق ، ولوحات الدرس ، واليوم وقفتُ معها تستعيد ذكرى السويعة الأخيرة التي جمعتنا..

كانت ماهرة في رسم قاعتنا الحزينة ، وقلبي الذي يعتصر ألماً ، شريط الذكريات يسير ، وريشتي توثق هذه الذكرى ..

إنها ساعات مرّت من حياتي ، كنت أنتظرها بشغف ، كنت صياداً ماهراً يلقي بشباكه ليصطاد الدرر ، ويظفر بالجواهر ، كنت أحرص على جمع أكبر عددٍ منها ، قبل أن تلوّح لي هذه الأيام بالمغادرة ..

كنت أجد في هذا القوت الأسبوعي زادي الذي لا يسدّ رمقي سواه ..

رسمت ريشتي لوحة جميلة ، صيادها مبتسم ، أمامه مئات الدرر ، سماؤه صفو ، وشمسه تنير الدروب ، وبلابله تغرد جذلى ..

تأملت لوحتي الملونة الجميلة ، وظللت أقف أمامها لأيام طوال وأغرق في تفاصيلها ..

وكأني أسمع عصافيرها تغرد ، ومياهها تنساب بصوت رقيق يداعب أذني ... حفيف أشجارها يرحل بي لعوالم لا يشعر بها إلا فنان استعذب الكلمة واللون واللحن ...

ولكن سرعان ما أفيق من حلمي لأرى شمسها تغرب ويحلّ الظلام .

لكل شمس غروب ، ولكل بدر أفول ، ولكل بداية نهاية ..

اللحظات السعيدة تغذّ السير ، ولكنها لا تغادر الذاكرة .

إضاءة ..

سأفتقد جوهرتي ، ولكن لن أقف على الشاطئ ، وأبحث عنها في المحيط ، لأنها أسمى من جواهر المحيط .

فقد استحالت بدراً ينير الدروب ومهما غاب سوف يطلع من جديد ..

وشمساً تأبى الغروب ، وتشرق في قلبي كل صباح ..

فتحمل معها أشعتها الدافئة التي تصلني مهما تباعدت بيننا المسافات ! .

الجمال لغة وأسلوب..

خلق الله أعيننا تتعطش للجمال وتسرح في الكون تبحث عن إبداع الصانع الذي وهب لنا الجمال في كل ما خلق .. والنفس جبلة تهوى الجميل ، وتنفر من القبيح ، وتتفاوت النظرة إلى الجمال بمقياس العين البشرية ، وإلفها ، وعادتها ، وثقافتها الجمالية ... ولكنها لا تكاد تختلف إطلاقاً على مكامن الجمال الباطني ، وإن اختلفت في الجمال الظاهري ..

يقول سيدنا عمر بن الخطاب- رضي الله عنه - : (أظل أهاب الرجل حتى يتكلم ، فإن تكلم سقط من عيني) .

وقديما قيل : (المرء مخبوء تحت لسانه ، لا تحت طيلسانه)، فكثيراً ما نرى الجمال في حسن الوجه ، والهندام ، ولكن هذا الجمال الظاهري ، إن لم يصاحبه جمال الفكر واللغة والأسلوب فإنه يسقط من أول حوار يدور بينك وبين صاحبه .. بل في بعض الأحيان يغلب جمال اللسان والفكر جمال المنظر ، ففي تراثنا العربي من النماذج التي تشهد بذلك الكثير : فالجاحظ أشهر من اشتهر بالدمامة ، ولكنه خلّف من جمال الفكر والأسلوب واللغة ما ظلّ يدرس على مرّ القرون إلى يومنا الحاضر ، بل إن عبارة من عباراته تفتح آفاقاً للباحثين في الدرس اللغوي الحديث ؛ والحجّاج الذي دخل الكوفة فازدراه كل من في مسجدها لقصره ورثاثته ، ولكن هذه العيون التي ازدرته ، أكبرته وهابته بعد أن أخرسهم بسيف بيانه وطلاقة لسانه.

وعنترة ذلك العبد الأسود الذي رفض عمه مالك تزويجه من ابنته لعبوديته – وعلى الرغم من شجاعته وبطولاته التي سجّلها – فيما بعد - كان يقول أجمل الشعر وأعذبه :

يا دار عبلة بالجـواء تكلمـي

وعمي صباحا دار عبلة واسلمي

و إن هذه المعلقة من أجمل المعلقات التي تمتعني عند قراءتها ..

فأين مصدر الجمال ، الذي يخلب الألباب عند هؤلاء ؟ إنّه اللسان والبيان ، واللغة والأسلوب ..

وإن كان ذلك في تراثنا جلياً واضحاً، فإنه اليوم يبدو بصورة أشدّ جلاء ، خاصة أن طلاقة اللسان ضعفت ، والسليقة بادت ، والقراءة الأدبية - قد نقول- اندثرت ، فأصبح فصيح اللسان ، ساحر البيان ، من أعاجيب الزمان ..

إن من أجمل الجمال الذي نراه في مجالسنا ، وحلقِنا ، ومحافلنا أن نجد إنساناً يمتلك اللغة يتصرف بها كيفما شاء، ويمتلك الأسلوب ، فيستطيع قيادة القلوب بحواراته ، والتأثير في العقول بنقاشاته ..

جمال الشكل مطلب (إن الله جميل يحب الجمال) ، وقد كان سيد الخلق صلى الله عليه وسلم نموذجاً في جمال الخلقة ، وحرصه على لبس البياض ، وحبه للتعطر والتزين ، ولكنه قال عن نفسه : (أنا أفصح العرب بيد أني من قريش) ، فلا تظن أن جمال مظهرك يغني عن جمال مخبرك ، وخذ من كل علم بطرف ، واتخذ لمحدثك أجمل الألقاب ، وأعذب الأحاديث ، ولا تكن ذلك الثقيل الذي ينفر الناس من مجالسته .

قيل للأعمش : مم عمشت عيناك ؟

قال : من مجالسة الثقلاء .

فلا تكن ممن تعمش العيون لمجالسته ..

واجعل مجلسك طيب الثمر ، يفوح بالعطر ، ومرآك يسعد البشر ، لأنهم اعتادوا منك حسن الحديث ، وطيب المظهر والجوهر .

الكثير من الدمى التي نراها اليوم ، تسرف على نفسها بالزينة ، وألوان المطاعم والمشارب ، والملابس ، والمفاخر ، تقتني كل شيء إلا كتاباً ، تجد المرأة مصنوعة كل ما فيها مزيّف ، لكثرة ما يشغلها شكلها الخارجي ، وإنك مع ذلك لا يطيب لك الجلوس

معها ساعة ، فهي جوفاء خاوية على عروشها ، فاقدة للأهداف والغايات ، لم تأبه بدين ولا علم ولا فكر ، وقد يكون في الرجال من هم أشباه النساء في ذلك ...

الهمم الهمم .. الغايات الغايات ، إن لم تُرسم أهدافنا بدقة مرّت ساعات أيامنا بلا أثر ... واقلباه حين نسأل عن عمرنا فيم أفنيناه ؟!

إن كان الجمال لغة وأسلوب فهما نتاج فكر وعقل ثري بالقراءة والاطلاع والبحث وتحديد الأهداف ، فلن تجد جاهلاً منح عذوبة اللغة ورونق الأسلوب ..

فهل يرتضي أصحاب التعليم ، وقيادة التربية والفكر أن يوضعوا في صف الجهلاء لأنهم لا يحسنون أسلوباً ، ولا يقيمون لغة !!

إضاءة ..

" ما ذلت لغة شعب إلا ذلّ ، ولا انحطت إلا كان أمره في ذهاب وإدبار " الرافعي.

"كيف يستطيع الإنسان أن يقاوم جمال هذه اللغة ومنطقها السليم وسحرها الفريد " زيغريدهونكة الألمانية.

" اللغة العربية تفوق سائر اللغات رونقا ، ويعجز اللسان عن وصف محاسنها " كارلو نلينو الإيطالي.

حديث الأربعاء

حينما كنت صغيرة ، قرأت حديث الأربعاء لطه حسين ، ومرّت مع الأيام ذكريات مقروءاتي الأدبية ...وقبل أيام ودّعت أربعاء كان لحديثه رونق ، فتذكرت طه حسين وحديثه ، لكن أربعائي كان ربيعاً بهيجاً مشرقاً ..

حديث الأربعاء هو محاضرات كنت أعشقها ..

حديث الأربعاء هو نفحات علم لا تمحى ..

حديث الأربعاء هو لقاء روح أتنفسها ..

إنه بصمة في ذاكرتي ..

لقد كانت دقائق أحسبها ..

أخشى أن تفلت من يدي ..

أخشى أن تغادر لغير عودة ..

وســـــــــــاء قلبي أنها أفلتت وغادرت !!

حديث الأربعاء ... هو نكهة الحياة الجميلة .

ياله من حديث حرمه من لا يشعر ..

وحرمه من لا يستشعر ..

حديث الروح للأرواح يسري   وتدركه القلوب بلا عناء

ما أروع الحديث حين يكون علمًا وقلباً !!

وما أبهاه حين تتلقاه من صفي نفسك !!

كنت حديث الأربعاء مشافهة..

ولكنكِ حديث كل الأيام طيفاً !!

سأحادثك رغم البعاد ..

وسيسمعني قلبك ..

فالأرواح تحلّق حيث تحب !

إضاءة ..

من أمتع لحظات الحياة وأجملها أن تحب ، فكيف حين تحب أستاذك وتوقره وتحترمه ، لن يخدش الحب عتاب ولا كبرياء ولا شائبة ، لأن إكبار الأستاذية فوق كل شعور !!

لعبة الكراسي

الحياة لعبة ، ومن الألعاب ما هو نافع ، ومنها ما هو ضارّ ، وقد تكون لعبة جميلة تمتعك ، وقد تكون لعبة فاشلة نهايتها محزنة أليمة..

في هذه الحياة ألوان من الكراسي ، فالكثير يجري خلف عروش الملك ، وثلة تجري وراء كراسي القضاء ، ومن الطموحين من يستهويه كراسي الأطباء والمهندسين ، وجماعات من الناس تهوى انتخابها لكرسي في مجلس من المجالس ، وهوس الكراسي هذا يدفعهم إليه دافع أعظم هو هوس الثراء وجمع المال..

وهذا ليس بعجيب إذا تأملنا الحياة المادية التي نحياها فكما يقولون : (معك مليون فأنت تساوي مليونًا ، ومعك قرش فأنت تساوي قرشًا) ..

الناس يعيشون في عصر المادة ، ولا ينظرون إلى الإنسان إلا بما يملك من عقارات ، ومقتنيات ، وأرصدة ..

إذا دخل صاحب الملايين المجلس قام القوم وقعدوا له ترحيباً وضيافة ومجاملة (نفاقاً) ، ولو دخل خير منه خلقاً وسلوكاً وديناً وهو فقير ما نظر إليه أحد ..

لذاك لم يعد كرسي العالم المتعلم هو الكرسي الأرفع شأناً والأجلّ أمراً ، ولم يعد مهوى القلوب ! .

حين تتكالب الناس على كراسي الأموال ، فليفخر أهل العلم بنزاهة نواياهم ، وعظمة طموحاتهم ، فلهم خلف الطموح طموح ، وخلف الرؤية رؤى ..

ما هالهم من الكرسي إلا غاية الوصول .

وما أقاموا عليه الساعات إلا لعظم المأمول .

العلم ورضوان الله غايتهم الوحيدة ..

ونفع الناس رغبتهم الفريدة ..

هم أولو عزم وهمة ..

بالكدّ والكفاح وصلوا القمة ..

فأين نحن من كراسي أهل العلم ؟؟

صاحب العلم لم يطلب الكرسي ، ولكن الكرسي يطلبه ..

وما غرّه هذا الكرسي ، ولكن الكرسي يفخر به ..

لم يسع لجمع المال ، المالُ يسعى إليهِ ..

وإنه ليرمي المال يمنة ويسرة فيزداد ماله ..

ما مال قلبه للمال ولا للهوى ..

فقلبه عامر بما هو أ جلّ وأزكى ..

صاحب العلم لا يبرح هذا الكرسي ليله ونهاره ، ولا يستطيع مغادرته ، فقلبه معلق بكتبه وأوراقه ..

هذا الكرسي له وسيلة لا غاية ..

لا يستثقل الكرسي صاحب العلم ،فهو خفيف من الأوزار والأحقاد والأدران ..

يتعامل مع الله ، قبل أن يتعامل مع عباده ..

إنّ الكرسي ليفرح برائحته الزكية ، وسريرته النقية ، وابتسامته الإنسانية ، وسعيه لخير البشرية ..

فهو ليس من أصناف الجيف التي تصرخ الكراسي من نتانتها ،تعاف مرآها ومجلسها ، ولو تحدثت لقالت : لا تغرّكم الظواهر فالبواطن سمجة حالكة .

الكرسي اليوم لك وغداً لغيرك ، وأيامك فيه شاهدة لك أو عليك ، فهل وظفت أيامك فيه لصحيفتك السوداء أم لصحيفتك البيضاء ؟!

إضاءة ..

كرسي الأستاذ ، عزٌ في الحياة ، ورفعةٌ بعد الممات ، وأجورٌ لا تنقطع حين يجنّد وقته لما فيه نفع الإسلام والأمة.

وزارتنا الموقرة!

جميل هو الشعور بالأمان .. ولعلّ راحة الجسد والفكر من أروع مظاهر الأمان ، ولذلك كي نحكم على تطور دولة ورقيها ننظر إليها من زاويتين : الصحة والتعليم ..

فإذا صحّ الجسد ، واستقام الفكر استطاع الإنسان البناء والعطاء ، وأصبح فرداً صالحاً في مجتمعه ، قادراً على التغيير والنهوض بأمته .

ولعلّ دولتنا الغالية من أوائل الدول التي تولي اهتماماً بارزاً بهذين الجانبين ، فتعنى بالمواطن ، وتقدم له سبل العيش الرغيد : جسداً وفكراً وروحاً .

وحين تنتقل وزارتنا نقلة مفاجئة في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز – حفظه الله – لتضم (وزارة التعليم) بين جناحيها التربية والتعليم العالي ، فهي إيمان عظيم بأن التربية لزامٌ علينا في جميع مراحل التعليم وتظل التربية هي غاية التعليم ، وغرس القيم والسلوك استمرار لا ينقطع مدى الحياة .

في فترة بسيطة من عمر الوزارة تنقلت بين قيادات تتمايز في الفكر والتوجهات ، فقد شرفت بقيادة سمو الأمير خالد الفيصل حفظه الله ، وقد وضع سموه يده في عام واحد على جراح التعليم ، وبنيته التحتية ، وبدأ يرسم ويخطط ليداوي الجراح ، تطاول فكره ليصل تطوير التعليم وتطبيق المناهج الإلكترونية ، وإتاحة فرص التدريب للمعلمين ، والمعلمات ، والقيادات ، داخل وخارج الوطن ، أبدى اهتماماً واسعاً بالمعلمات المغتربات ، ولم يتجاهل مشكلة حوادث المعلمات ووضع الخطط السليمة لعلاجها ، كما حرص على إعادة هيبة المعلم ومكانته من خلال وضع العقوبات الرادعة لكل من يعتدي على المعلّم ، مع اهتمامه بالانضباط كمؤشر للإنجاز .. وكأني به قرأ التعليم في عام ، وشخّص أحواله تمهيداً لقدوم خليفة سيكمل مسيرته الغراء ...

ويقدم على صهوة جواده منطلقاً بحماس ، الوزير الإنسان ابن الوطن الدكتور : عزّام الدخيل ، جاعلاً من همومنا همه ، وقضايانا قضيته ، ومشاكلنا أرق لشخصه .. ويقف بين المواطنين يرسم صورة التواضع والإنسانية ، التي تقع في قلوب أبناء الشعب موقعاً لا نظير له .. كيف لا وحب الإنسانية يبقى في القلوب فيعزف لحن الخلود !

وتبقى الآمال متعلقة به ترتسم في واقع جميل مشرق يكمل به الدخيل جهود سابقيه ، ويسد ثغرات تؤرق المعلمين ليغذوا السير في ركب التعليم دون تخاذل أو تهاون.

ولمّا ينقض عام حتّى يقلّد الأمر لوزير جديد هو الدكتور... أحمد العيسى فتحملق العيون لتسارع التغيير ، وتظل تنتظر أن تكون وزارتنا الموقرة في يد حريصة أشدّ الحرص على مصلحة الوطن والمواطن ، تسعى للتغيير البنّاء ، لا التطوير التجريبي المستمر الذي يضيع ضحيته أجيال من أبناء الوطن .

همسة في أذنك يا قائد المهنة وزيراً ، و دكتوراً ، ومشرفاً ، ومديراً ، ومعلماً ، الطريق شاقة وعرة ، ليست مفروشة بالحرير ، وليست هينة لينة .. ولكن من رغب المعالي ركب الصعاب ، ومن ارتضى الصعب نال الثواب ..

العلم كدّ وكفاح ، فنحن في دار عناء ، وكد ، وشقاء ، والراحة عند أول قدم في الجنة ..

إضاءة ..

التغيير سياسة يجب أن تدرس قبل تطبيقها ، فالتغيير المتسارع قد يضر ولا ينفع ، والتجريب في الفكر والجسد البشري من أسوأ أنواع التجريب !!

مسك الختام

يا سيّـــد الأبرار حبـك دوحة　　　في خـاطري صداحة الأطيـــار

والشـوق ما هذا بشــــوق إنه　　　في قلبـي الولهـان جذوة نـــار

يا سيّد الأبرار حبك في دمي　　　نهر على أرض الصبـابة جاري

لك يـا نبي الله في أعمــاقنـا　　　قمم من الإجـلال والإكبــــار

العشماوي ...

حقيقة إن حبك هو تمسك بشرعك ..

وإن المتيم بك هو من تعلق بصفاتك ...

وإنّ من يسعى لصحبتك في الفردوس الأعلى هو من يحيي سنتك ..

أنت ... مسك الختام ..

أنت قدوتنا يا خير الأنام ..

نورك الوضاء محا أدناس الجاهليَّةِ.

فتنفس الكون وطابت بك البشريَّة .

يا أيها الأمّي حسبك رتبة　　　في العلم أن دانت بك العلماءُ.

شوقي

بك يقتدي المعلمون ..

وعلى نهجك يسير المهذبون ..

إن أرادوا تعلّم الرحمة فأنت الأم والأب رحمة ..

وإن رغبوا تطبيق العدالة فأنت العادل سلوكاً .

وإن شاؤوا صنوف التربية فأنت المربي الأوّل ..

كلّ أستاذ ومعلم يعشق مهنته ، ويريد الإبداع فيها فليأخذ بسيرتك ، وليرد بحرك العذب الزلال ، ليصل المرتبة الأولى ، ويحقق الغاية المثلى ..

فمحمدٌ صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى ، وكل ما جاء به للبشرية هو وحي يوحى ، لذلك هنيئاً لمن سار على نهجة واقتفى ..

تأتي التربية الحديثة ، وتتعب في التنظير ، وتجهد في سنّ قوانين التعليم وطرقه ، وأصول التربية ، ولم أجد منها قانوناً أو أصلاً إلا وله في سيرته صلى الله عليه وسلم أنموذجاً ، وحتى لا أكون من أصحاب النظريات فهاكم التطبيق من سنته صلى الله عليه وسلم .

الحديث الأول :

عن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – قال : " بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلّم ذات يوم ، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منّا أحد ، حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسند ركبته إلى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخديه ، وقال : " يا محمّد أخبرني عن الإسلام " فقال له : " الإسلام أن تشهد أن

لا إله إلا الله وأنّ محمّدًا رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا " قال : (صدقت) ، فعجبنا له يسأله ويصدقه ، قال :أخبرني عن الإيمان " ، قال : (أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره) ، قال : (صدقت) ، قال : " فأخبرني عن الإحسان " قال : " أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك) ، قال :"فأخبرني عن الساعة " ، قال : " ما المسؤول بأعلم من السائل " قال : " فأخبرني عن أماراتها " قال : " أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء ، يتطاولون في البنيان " ، ثم انطلق فلبث مليّا ، ثم قال : (يا عمر ، أتدري من السائل ؟) ، قلت : الله ورسوله أعلم " ، قال : فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم " **رواه مسلم.**

هذا الحديث عظيم القدر ، كبير الشأن في التعليم والتربية لو تأملناه لوجدنا فيه أسساً غاية في الجمال تسعى إليها التربية الحديثة ، وتحاول تطبيقها في مراحل التعليم المختلفة .

أولها .. التربية بالقصة التي يرويها عمر بن الخطاب ، ويحكي فصولها ، ونعلم ما للقصص من أثر تربوي عظيم ، وقد امتلأ القرآن الكريم بألوان القصص لتسلية فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم .

ثانياً .. غرس مبدأ الحوار في التعليم ، فالحوار بين جبريل ومحمد صلى الله عليه وسلم كان مقصوداً لتعليم المسلمين أمر دينهم ، إنه لحوار شائق ماتع .

ثالثاً .. تمثيل الأدوار ، فالسائل والمسؤول يمثلان دور المعلم والطالب ، وما جذب انتباه الجمهور هو كلمة (صدقت) فهو يسأله ويصدقه ، فالسائل لم يكن جاهلاً ، وإنما كان معلماً .

رابعاً .. العصف الذهني ، بطرح أسئلة تفتح آفاقاً للتفكير والتأمل .

خامساً .. أهمية الملامسة الجسدية بين المعلم والمتعّلم وتجلّت في إسناد جبريل ركبتيه لركبتي الرسول صلى الله عليه وسلم ، ووضعه كفيه على فخديه ، وهذا يعلّم كل أستاذ أهمية القرب من الطالب والحنو عليه ، والتربيت على كتفه .. عوالم من الرحمة والحنان التعليمي .

سادساً ..الاستغراق في الوصف (شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ....) يرسم صورة ذهنية متخيلة وإثارة خيال المتعلم يثبت المعلومة عنده .

سابعاً .. تنوع الأساليب اللغوية يا محمد ، أخبرنيِ ، أتدرون .. وهذه من عوامل إثارة الانتباه فالانتقال من الخبر إلى الإنشاء (نداء وأمراً واستفهاماً) فيه إبداع أسلوبي يجذب السامع والقارئ .

ثامناً .. تلعب المكافأة والتعزيز دوراً كبيراً في التعليم ، وقد تجلّت في الحديث الشريف في قوله (صدقت) والتعزيز المادي والمعنوي يحفز الطالب للتعلّم ..

ما أروعه من حديث ! وما أروعها من تربية ! إنه الإبداع في التعليم الذي تتجلى فيه آداب الحوار وأسسه ، فيجمع بين دفتيه نظريات تربوية تعقد لها الدورات ، وتؤلف فيها الكتب والمصنفات ..

🕮 الحديث الثاني ..

يقول أبو أمامة إنّ فتى شاباً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ائذن لي بالزنا . فأقبل القوم عليه فزجروه قالوا مه مه .

- فقال : ادنه .
- فدنا منه فجلس :
- قال : أتحبه لأمك ؟

- قال: لا والله ، جعلني الله فداءك .
- قال : ولا النّاس يحبونه لأمهاتهم . أتحبه لابنتك ؟
- قال : لا والله ، يارسول الله جعلني الله فداءك .
- قال : ولا النّاس يحبونه لبناتهم . أتحبه لأختك ؟
- قال: لا والله ، جعلني الله فداءك .
- قال : ولا النّاس يحبونه لأخواتهم . أتحبه لعمتك ؟
- قال: لا والله ، جعلني الله فداءك .
- قال : ولا النّاس يحبونه لعماتهم . أتحبه لخالتك ؟
- قال: لا والله ، جعلني الله فداءك .
- قال : ولا النّاس يحبونه لخالاتهم . فوضع يده عليه وقال : اللهم اغفر ذنبه ، وطهر قلبه ، وحصن فرجه . فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء.

هذا الحديث لوحه مشرقة من لوحات التربية النبوية ، وأسلوب المعلم الذي انماز بالصبر على المتعلم وعدم التعنيف عند الخطأ ، بل استخدم الحوار ليصل لغايته وهي الإقناع ، كما لجأ للأسلوب الاستفهامي للإنكار وتقرير حكم الإسلام في الزنا ، تأمل معنى كلمة(ادنه) إنها تحمل كل ألوان التقارب الجسدي والنفسي بين المعلم والمتعلم ، فتبدد الخوف ، وتشعر بالراحة النفسية .. ما أروعك من معلّم ، يسير على خطاك ونهجك رواد التربية والتعليم فيتقاصرون دونك !!

وإذا رحمت فأنت أم أو أب   هذان في الدنيا هما الرحماءُ

"شوقي"

الحديث الثالث ..

- "عطس رجلان عند النبي صلى الله عليه وسلّم.
- فشمّت أحدهما ولم يشمّت الآخر .
- فقيل له .
- فقال : هذا حمدَ الله ، وهذا لم يحمد الله .."

إنه التعليق العملي لينكر على من لم يحمد الله ، وذلك تشميت من حمد الله ، وحرمان الآخر الذي لم يحمد الله ، دون توجيهه مباشرة ولفظا ، بل اكتفى بالحرمان لتعليمه ، وتعليم المؤمنين .

الحديث الرابع ..

يقول أبو سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلّم

- نهى عن النفخ في الشّرب .
- فقال رجلٌ : القذاة أراها في الإناء .
- قال : أهرقها .
- قال : فإني لا أروى من نفس واحد
- قال فأبن القدح إذن عن فيك"

بالرغم من مجادلة المتعلم إلا أن المعلّم يملك روحا أسمى وصبرًا لا ينفد ، فهو يتقبل الاعتراض ، ويقدم البديل تلو البديل ، دون توبيخ أو تحقير .

إن الرسول صلى الله عليه وسلّم يقدّم لنا في سيرته العطرة النموذج الأمثل للمعلّم الذي يتعامل مع مختلف الفئات (المشرك ، الكتابيّ ، المنافق ، الكافر ، الجاهل ،

المكابر ...) فأين المعلمون اليوم من ضيقهم بأبناء المسلمين لاختلاف الهوايات والفكر والشخصيات وكأنهم لا يؤمنون بقانون الاختلاف الذي هو من مزايا البشر ؟؟

الرفق والصبر هما من المزايا التي ميزت حواراته وتعليمه للمسلمين وغيرهم ، كذلك التعليق في حدود الضرورة دون توبيخ أو تجريح للمتعلم .

توفير البدائل والحلول عند التعليم كما فعل عندما نهى عن النفخ في الشراب .

الرسول صلى الله عليه وسلّم أوتي البيان والفصاحة وهما ضروريان للمعلم ، فنجده يستخدم الوسائل اللفظية وغير اللفظية . ومن الوسائل اللفظية : (استخدام التسبيح تعجّبا، أو تعظيماً ، والمناداة بالاسم أو الكنية ، واستخدام أسلوب التكرار مثل قوله : (أنا أنا) للإنكار على من يعرّف نفسه باستخدام كلمة (أنا) ...

ومن الوسائل غير اللفظية : (الشرح والتمثيل ، كشرح التيمم ، وتغير الوجه تعبيراً عن الغضب ، واحمراره تعبيراً عن الخجل ، والتزام الصمت كناية عن الإنكار ، والحلم لتأليف القلوب ، وتقليد الصوت للمداعبة .. .)

إنها أساليب تجعل من التعليم جوّا ممتعاً ، ويبقى المتعلّم متحفزاً دومًا لشخصية معلمه الجاذبة ، والشيء الذي أثبته الميدان أنّ عامل الجذب الأول للطالب هو أستاذه . فمهما كانت البيئة جاذبة ، والمقرر جاذباً ، لا قيمة لهما إن لم يكن الأستاذ أكثر جاذبية وإبداعاً وتألقاً ..

بك يا ابن عبدالله قامت سمحة

بالحق من ملك الهدى غراء

بنيت على التوحيد وهو حقيقة

نادى بها سقراط والحكماء

لقد بنيت لأمتك سمحة غرّاء ، أساسها التوحيد ، ولكن لله درّ شوقي حين يقول في بائيته:

بنيت لهم من الأخـــلاق ركنًا فخافوا الركن فانهدم اضطرابا

وكان جنـــابهم فيها مهيـبا وللأخـلاق أجـدر أن تهـــــابا

وختاماً :

فما عرف البـلاغة ذو بيـانٍ إذا لم يتخـذك لـه كتـــــابا

خاتمة

التعليم أشق المهن ، وأمتع المهن ، مهنة ركوب الصعاب والمغامرات والتجديد ..

إنها المهنة التي لا تبلى ولا تخلق ، ولمصاحبتي الطالبات أربعة أعوام معلمة ، ورفقتي للمعلمات في الفصول وفي الميدان أربعة عشر عاما مشرفة بصمة في ذاكرتي أحببت أن أفيد قرائي بثمار تجاربي عبر الوريقات السابقة ..

وربما أثار شعوري لتدوين هذه المقالات ، ما مررت به من تجربة عميقة في مرحلة دراسة الماجستير وتأملي في الفجوة بين التعليم العام ، والتعليم العالي على الرغم من أنها سلسلة واحدة يجب ألا تشعر طالب العلم بالاختلاف الكبير في الطريقة والأسلوب والفكر وتعامل الأستاذ . .

كل كلمة كتبتها هي رؤيتي ورأيي الشخصي الذي يعبر عن فكري ، وهذه سمات الأدب ، فللقارئ القبول أو الرفض .. ولكن ما زلت أعتقد أن سمو العاطفة والإحساس ، وإحكام زمام الهوى في زمن المصالح وزخم العلاقات المزيفة مازال على قيد الحياة ..

فالبعض والقليل ترك في النفوس بصمة ، وخلّف في الأجيال أثراً يحتسب له .. فبادر قلمي ليضع الإبداع في ميزان الحق والعدالة ..

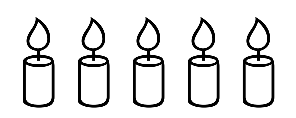
أضع بين يدي القارئ بوح قلمي ..

وكل من يقرأ كتابي يسجّل لأساتذتي دعوة ، ويسجّل للأستاذة الدكتورة سعاد دعوات لا تنقطع فقد علمتني منهج حياة ، وليس مقرراً دراسياً فحسب، وكانت سببا في أن تخرج هذه المقالات للوجود.



خلــــود.. ١٤٣٧هـ

الفهرس



السيرة الذاتية للكاتبة

= خلود عبدالله إبراهيم النازل

- معلمة لغة عربية للمرحلة الثانوية لأربعة أعوام

- مشرفة لغة عربية لأربعة عشر عاما

- ماجستير لغويات

- مدربة معتمدة – مدرب محترف

- مدربة مركزية للمشروع الشامل لمقررات اللغة العربية

- مدربة معتمدة للحوار من مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني

- مدربة للإلقاء والتأثير في الآخرين

- حاصلة على مئات الساعات التدريبية

- مدربة لمئات الساعات التدريبية

- عضوة المجلس التعليمي لعامين

- عضوة المجلس الاستشاري للمعلمين لدورة كاملة

- كاتبة في صحيفة أضواء الوطن الإلكترونية